الذرية في القرآن الكريم

ومضامينها التربوية

دِرَاسَةٌ تأْصِيلِيةٌ لِتَرْبِيَةِ الأَوْلَادِ فِي الاسْلامْ

تقديم:

د. حسن بن علي الحجاجي

د. سعيد بن مسفر القحطاني

د. عويد بن عياد المطرفي



إعْدَاد:

د. عبد الرحمن بن سعيد الحازمي



الذريةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمْ
وَمَضَامِينُهَا التَّرْبَوِيَة
دَرَاسَةٌ تأْصِيلِيةٌ لِتَرْبِيَةِ الأوْلَادِ فِي الاسْلامْ

تقديم

د/ حسن بن علي الحجاجي

د/ سعيد بن مسفر القحطاني

د/ عويد بن عياد المطْرِفي

إعداد

د/ عبد الرحمن بن سعيد الحازمي

١٤٢٨هـ







قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (الإسراء).

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (الأنعام).

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب).

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (آل عمران).

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ (إبراهيم).

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (الفرقان).

صدَقَ اللّهُ الْعَظِيم





قائمة المحتويات



قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (الإسراء).

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (الأنعام).

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب).

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (آل عمران).

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ (إبراهيم).

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (الفرقان).

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيم





تقديم فضيلة الدكتور حسن بن علي الحجاجي

الأمين العام للهيئة الإسلامية العالمية للتعليم.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .. وبعد ،،

فقد اطلعت على البحث الذي أعده سعادة الدكتور عبد الرحمن بن سعيد الحازمي مدير عام فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بمنطقة مكة المكرمة بعنوان (الذرية في القرآن الكريم ومضامينها التربوية) حيث تتبع كلمة الذرية الواردة في بعض سور القرآن الكريم من سورة البقرة حتى سورة الحديد ، وعاد إلى أمهات الكتب والتفاسير المعتمدة في شروح هذه الآيات التي وردت بها كلمة (الذرية) واستنبط استنباطات جيدة لبعض الدلالات التربوية المفيدة ، وهذا يدل على حسه التربوي المتميز الذي اعتمد فيه على الكتاب والسنة .

والمتخصص في التربية الإسلامية سيحقق نجاحات تُذكر إذا اعتمد في فكرة على أمرين أساسين وهما :

١) الإلمام بالنصوص الشرعية من القرآن والسنة وفهمهما فهماً دقيقاً .

٢) النظر الثاقب في الفكر التربوي المعاصر .



وبهذين الأمرين يستطيع الاستدلال بالكتاب والسنة على المضامين التربوية ، وتصنيف أقوال السلف في البناء التربوي المعاصر.

وسعادته وُفق أيما توفيق في تحقيق ذلك . لذا خرج البحث مشتملاً على مضامين تربوية لنصوص هذه الآيات ، ودعم ذلك بنصوص حديثية التزم فيها جانب التوثيق ، فهو بحث قيّم من وجهة نظري ، حري بالإطلاع والاستفادة منه في التربية الإسلامية .

فإنني أوصي الآباء والأمهات ، والمعلمين والمعلمات ، والموجهين والموجهات ، والدعاة على الإطلاع عليه والاستفادة منه .

وجزى الله مؤلفه خير الجزاء ، ونفع به ، وسدد على طريق الخير خطاه .

وبالله التوفيق.

الأمين العام للهيئة الإسلامية العالمية للتعليم

د/حسن بن علي الحجاجي

١٧/ ٥/ ١٤٢٨هـ



تقديم فضيلة الدكتور سعيد بن مسفر القحطاني

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى والداعية المعروف.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين وبعد :.

فقد استعرضت هذه الإضاءات التربوية والإطلالات الإيمانية التي اقتبسها سعادة الدكتور عبدالرحمن بن سعيد الحازمي من معاني ألفاظ الذرية ومترادفاتها الواردة في سور القرآن الكريم ثم قام بتوظيفها في بيان دور الوالدين في بناء الأسرة المسلمة والتي على ضوء صلاحها أو فسادها يتحدد مصير المجتمع سلباً وإيجاباً .

وكما هو معلوم فإن الأسرة هي المحضن الأول الذي تصاغ فيه شخصيات الأجيال وتتشكل من خلاله نفسياتهم ، ولذا لا غرابة أن نجد الاهتمام العظيم بشأنها وتنظيم أمرها.

وقد حاول المؤلف أن يوظف إمكانياته العلمية وخبراته العملية والتربوية وتجاربه الأسرية في استخلاص هذه الإضاءات بعد رجوعه إلى كتب التفسير مما أعطى لهذا الكتاب قيمة علمية غير مسبوقة تسد فراغاً في المكتبة الإسلامية وتعالج أمراً هاماً يتعلق بكل أسرة .



أسأل الله عز وجل أن يكتب لمؤلفه جزيل الأجر وعظيم الثواب وأنصح كل أب وأم بقراءته والاستفادة من جواهره وكنوزه .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

كتبه

د/ سعيد بن مسفر القحطاني

مكة المكرمة في ١/٥/ ١٤٢٨هـ



تقديم فضيلة الدكتور عويد بن عياد المطرفي

الأستاذ المشارك في قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى.

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد عبدالله ورسوله الأمين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وأصحابه **أجمعين ، وبعد :**

فإن الله تعالى أنزل على رسوله ﷺ هذا القرآن العظيم: ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ **(البقرة : ١٨٥)** ، ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ **(المائدة : ١٦)** ووجه عباده إلى الاسترشاد بهذا القرآن ، وطلب الهداية منه ، إذ هو أهدى السبل للاستقامة ، وأوضحها نهجاً للسلامة ، فقال : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ **(الإسراء : ٩)** ، وقد جعله الله نوراً يهدي باتباع أحكامه والعمل بآدابه من يشاء من عباده فقال : ﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ **(الشورى : ٥٢).**

وختم هذه الآية الكريمة مقرراً ، ومؤكداً مضمونها بأن رسوله محمد ﷺ الذي أنزل عليه هذا القرآن الذي جعله هدى للناس ونوراً ، هو أيضاً بدعوته إلى الله تعالى يهدي إلى الصراط المستقيم،



والخلق القويم فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (الإسراء : ٥٢- ٥٣).

ولذلك جعله الله عز وجل أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً فقال تعالى في تزكيته وتزكية منهجه حثًّا على اتباعه وبعثاً على التأسي به في جميع أقواله وأفعاله وأحوال : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب : ٢١).

وقد يسَّرَ الله تعالى القرآن العظيم للذاكرين ، ودعا المؤمنين به لتلاوته وتدبره وتذكره في كل حال من أحوالهم ، وكل شأن من شؤون حركاتهم وسكناتهم في هذه الحياة التي جعلها مزرعة خصبة ميسرة لاستصلاح القلوب وتهذيب الأنفس وتصحيح السلوكيات وتحصيل المعارف والفضائل التي تقرب العبد من ربه ، وتحببه في اتباع رسول الله ﷺ فقال : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠).

ولا ريب أن من أعظم مهام المؤمن الذي يرجو الله واليوم الآخر أن يربي أولاده ، وينشئهم على الأقوال الفاضلة ، والأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة التي تهيؤهم لمستقبل حياتهم ، والعيش فيها في



طمأنينة ودعوة ومودة مع من سيعايشونهم ، ويخالطونهم ليتحقق لهم رضى الله عنهم أولاً ، والقبول الطيب في مجتمعهم ثانياً .

وليست هذه التربية المكلف بها المؤمن قاصرة على تربيته لأولاده الموالين له في لحمة النسب ، وبل هي واجب ديني مفروض عليه أن يجعلها تربية طيبة صالح متعدية إلى أولاد أولاده ، ومن سيتناسلون منهم بعده ، يقوم كل جيل منهم بغرسها في الجيل الذي يأتي بعده يتوارثونها كما يتوارثون أموالهم حتى يتواصل الصلاح ، والفلاح فيهم ويكونوا ذرية طيبة بعضها من بعض يتحقق فيهم قول اله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ ﴾ **(الطور : ٢١)**.

وإن أصدق الأبحاث التربوية موضوعاً ، وخيرها تأسيساً ، وأحقها بالأخذ به ، والدعوة إلى السير عليه وحمل الأمة على نهجه ، وانتهاجه – وبخاصة ناشئة الأمة التي هي عماد مستقبلها ، وأمل رجائها في مقبل أيامها – التربية المستمدة أصولها وقواعدها من كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

والحق يقال : إن كتاب (**الذرية في القرآن الكريم ، ومضامينها التربوية**) للأخ الدكتور الباحث المستتير عبدالرحمن بن سعيد الحازمي قد تحقق له في كتابه هذا تتبع ألفاظ الذرية في



القرآن العظيم فاستظهر بفكره النير ، وحسه الاستنباطي الاجتهادي العميق ما تحمله هذه الآيات الكريمة من توجيه ، ودلالات ، وقواعد وأصول تربوية ربانية جعلها الله عز وجل في هذه الآيات صوى ، ومعالم تربوية لقيام مجتمع إسلامي فاضل يتحقق فيه ، وبه قول رسول الله ﷺ : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى "[1] .

وإنه لكتاب جدير بالقراءة والاعتناء والاقتناء ، وحقيق بالقراءة في حلقات تدريس القرآن الكريم ، ومجالس التحصيل العلمي لشباب هذه الأمة المباركة .

أجزل الله لكاتبه عظيم الأجر ، ونفع به طلاب العلم وشداته الأخيار الذي يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، سدد الله أقوالنا ، وأصلح أعمالنا ، وجعلنا جميعاً هداة مهتدين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قاله وكتبه

الدكتور/ عويد بن عياد المطرفي

٨/ ٦/ ١٤٢٨هـ

---

[1] صحيح مسلم ، حديث رقم ٢٥٨٦.





إهـــــــداء

إلى والدي رحمه الله تعالى ، وأسكنه الفردوس الأعلى مع النبيين ، والصديقين ، والشهداء وحسن أولائك رفيقا . . .

إلى والدتي الغالية مد الله تعالى في عمرها ، ومتعها بوافر الصحة ، والعافية ، ونفعني بصالح دعائها . . .

إلى إخواني الأعزاء . . . .

إلى زوجي وأولادي باسل ، وبلسم ، وتسنيم ، وسهيل ، وسمية .

إلى كل أب ، وأم حريصين على تربية أولادهم تربية إسلامية صحيحة .

إلى كل مرب ، معلم ، داعية ، خطيب ، إمام . . . .

إلى كل مسلم غيور على تنشئة شباب المسلمين . . .

أقدم للجميع هذا الجهد المتواضع لعله يكون خطوة جادة ، وواضحة لتربية الأولاد تربية إسلامية أصيلة .



المقدمة :

الحمد لله حق حمده ، والصلاة ، والسلام على خير خلقه ، وعلى آله وصحبه ، ومن سار على نهجه ، إلى يوم حشره ، أما بعد :

فإن للأمة الإسلامية رسالة سامية وخالدة غايتها تحقيق العبودية الشاملة لله تعالى ، وفق منهج رباني متوازنٍ ، تمثل : في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، ومثالنا المقتدى به هو : الرسول ﷺ ، امتثالاً لقول الله تعالى :﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب:٢١).

وهذه الأيام يمر العالم بأسره بتطورات سريعة في وسائل الاتصال المختلفة ، مما جعل الثقافات البشرية المعاصرة تتداخل بعضها مع بعض ، بشكل عجيب وخطير ، وأصبح مشاعاً اليوم بين المثقفين أن العالم أصبح قرية صغيرة ، وفي الحقيقة أنه لم يعد كذلك ، بل هو حُجرة صغيرة ، لكونك وأنت في بيتك وفي حجرتك وعلى مكتبك تستطيع أن تطلع على العالم كله ، وتتعرف على ما يدور فيه لحظة بلحظة وكأنه ماثل أمام عينيك.

إن هذا التطور سنة جارية لا يمكن إيقافه عند حد ، وما يخفيه المستقبل القريب ربما يكون أعظم من ذلك وأخطر !! وما يقوله البعض : من الانغلاق حول أنفسنا ، وعدم الانفتاح على هذه



التطورات بدافع الغيرة ، والحرص على شبابنا وناشئتنا خشية تأثرهم بثقافة وافدة نابعة من خلل في التصور وانحراف في الفكر ، فهو أمر في غاية الصعوبة لأن تيار التطور سريع سرعة مذهلة ، وسوف يداهمنا بوسائله المتنوعة والمتجددة شئنا أم أبينا ، في حلنا وترحالنا .

وعود على بدء ، إننا فعلاً أمة لها رسالتها ، ولها عقيدتها ، وشريعتها وقيمها ، ومبادئها ، وعاداتها ، وتقاليدها المحافظة ، وهذا الانفتاح له سلبياته ربما الخطيرة لا أحد ينكر ذلك ، ولكن له من الإيجابيات الشيء الكثير جداً فيما لو نظرنا بمنظار التفاؤل والأمل وأحسنا التفاعل والتعامل الحضاري الراقي مع منتجات العصر المختلفة وفق خطط مدروسة ، بشكل علمي مقنن يضعها المتخصصون المخلصون لدينهم وأمتهم.

وأمام هذه التحديات المعاصرة المقلقة جداً ، فليس أمام المسلمين اليوم سوى خيار واحد لا ثاني له ، وهو : العودة بصدق وعزيمة وهمة وشجاعة وإخلاص إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تسليم ، فالمتمسك بهما لن يضل بإذن الله تعالى ، مصداقاً لقول الرسول ﷺ : " خَلَّفْتُ فِيكُمْ



شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا : كِتَابَ اللَّهِ ، وَسُنَّتِي ، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ " [1].

وإن صلاح واقع الأمة اليوم لا يتم إلا بما صلح به أولها ، قاله الإمام مالك رحمه الله تعالى : " لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها "[2].

وإنني من واقع مسؤوليتي التربوية كأب من جهة ، ومتخصص في التربية الإسلامية من جهة ثانية ، وعلمي ببعض واقع حال أمتي من جهة ثالثة ، فإنني أركز هنا على تربية الأولاد ، وحسن تنشئتهم ، فهم عدة المستقبل وأمل الأمة القادم وذلك من خلال الارتشاف من مَعِين القرآن الكريم بموضوع مهم جداً ، وقد هداني الله تعالى إليه أثناء قراءتي لتفسير قول الله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة:١٢٤) ، فخطر خاطر في قلبي بمدى الحرص الأبوي الذي أورده القرآن الكريم علي لسان أبينا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم بطلب أن تكون ذريته أئمة للناس ، وأيقنت أن ذلك لا يتأتى إلا بالتربية الإسلامية الصحيحة.

---

[1] (سنن الدارقطني ، حديث رقم ، ٤٦٦٥ ، باب : في المرأة تُقتل إذا ارتدت).

[2] (ابن تيمية ، الفتاوى ، ج ٢٧ ، ص ٣٩٦).



فشمرت أبحث في القرآن الكريم عن لفظة الذرية واشتقاقاتها ، فوجدته موضوعاً تربوياً مهماً جديراً بالبحث والدراسة والتقصي ، لعله يكون لبنة صالحة في تربية وإصلاح أولادنا وناشئة وشباب المسلمين ، ومُعيناً في ذات الوقت على مواجهة التحديات المعاصرة التي في مقدمتها الانفتاح على الثقافات الأجنبية وما تحمله في الغالب الأعم من فساد في الفكر وخلل في التصور لكافة مناحي الحياة.

وقد رأيت من المناسب تسمية هذا الموضوع : الذريةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمْ وَمَضَامِينُهَا التَّرْبَوِيَة [دَرَاسَةٌ تَأْصِيلِيةٌ لِتَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ فَي الْإِسْلَامْ]

راجياً من الله تعالى لهذه الدراسة القبول والفائدة ، وأن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ألقاه عند ربي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .



هناك بعض المصطلحات التي تضمنتها الدراسة ، ويجب إيضاحها للقارئ الكريم ، حتى لا تحدث لبساً لديه ، ويتضح المقصود منها بإذن الله تعالى.

أولاً : الذرية.

المعنى اللغوي والاصطلاحي للذرية.

أ. المعنى اللغوي للذرية.

جاء في معجم تاج العروس للفيروز آبادي (مادة ذرأ) : ذَرَأَ اللهُ الخَلْقَ كجَعَل ، وذَرْأً : خَلَق ، قال الله تعالى ﴿ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴾ (الشورى: من الآية:١١) أي : يُكَثِّرُكم به ، ومنه اشتقاق لفظ الذُّرِّيَّة لِنَسْلِ الثَّقَلَيْنِ من الجِنِّ والإنس ، وقد تُطلق على الآباءِ ، والأُصول أيضاً ، قال الله تعالى : ﴿ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ (يس: من الآية٤١) ، وفي اشتقاقها وجهانِ : أحدهما : أَنَّها من الذَّرِ والثاني : أَنَّها من الذَّرِّ بمعنى التفريق لأَنَّ الله تعالى ذَرَّهُم في الأَرض.

ويقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ في تفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم عند تفسير الآية : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ (آل



عمران:٣٨) ، بأن الذرية تعني : النسل وهي : تقع على الواحد ، والجمع ، والذكر ، والأنثى.

وجاء في تفسير معالم التنزيل للبغوي ـ رحمه الله ـ عند الآية: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران:٣٤) ، بأن الذرية تعني : الأولاد ، والآباء ، فالأبناء ذرية لأنه ذراهم ، والآباء ذرية لأنه ذرأ الأبناء منهم.

ويقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عند تفسير الآية : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ (يس:٤١) : " وهذا الموضع من أشكل المواضع عليّ في التفسير ، فإن ما ذكره أكثر المفسرين من أن المراد بالذرية الآباء مما لا يعهد في القرآن إطلاق الذرية على الآباء بل فيه من الإبهام وإخراج الكلام عن موضوعه ما يأباه كلام رب العالمين وإرادته البيان والتوضيح لعباده ".

ب. المعنى الاصطلاحي للذرية.

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للذرية عن المعنى اللغوي ، ونميل إلى المقصود بالذرية ، الأولاد دون الآباء.



ثانياً : المترادفات.

من خلال البحث والدراسة وجدت عدداً من المترادفات للفظة الذرية ، فكان من اللازم الإشارة إليها وإلقاء الضوء عليها ، وإيضاحها للقارئ الكريم ، استكمالاً للموضوع ودعماً له.

أ : السبط.

جاء في معجم لسان العرب ، عند مادة (سبط) ، السِّبْطُ والسَّبْطانُ والأَسْباطُ خاصّة : الأَولاد ، وقيل : السِّبْطُ واحد الأَسْباط وهو وَلد الوَلدِ ، وقال ابن سِيده : السِّبْطُ ولد الابن والابنة ، وفي الحديث : الحسَنُ والحُسَينُ رضي عنهما سِبْطا رسولِ الله ﷺ ، ومعناه ، أَي : طائفتانِ وقِطْعتانِ منه ، وقيل : الأَسباط خاصة الأَولاد وقيل : أَولاد الأَولاد ، وقيل أَولاد البنات ، وفي الحديث أَيضاً ، الحسينُ سِبْطٌ من الأَسْباط ، أَي : أُمَّةٌ من الأُمم.

وكذا جاء في معجم مختار الصحاح للرازي : السِّبْطُ واحد الأَسْبَاطِ ، وهم : ولد الولد.

ب : العقب.

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور ، عند مادة (عقب) : والعَقِبُ والعَقْبُ والعاقِبةُ ، ولَدُ الرجلِ ووَلَدُ ولَدِه الباقونَ بعده ، وذَهَبَ الأَخْفَشُ إِلى أَنها مؤنَّثة ، وقولهم : ليستْ لفلانٍ عاقبةٌ ، أَي : ليس له ولَد ، وقولُ العَرَبِ : لا عَقِبَ له ، أَي لم يَبْقَ له وَلَدٌ ذَكَر ،

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ (الزخرف : ٢٨) أرادَ عَقِبَ إبراهيم عليه السلام ، يعني : لا يزال من ولده من يُوَحِّدُ اللّه ، والجمع أَعقاب ، وأَعْقَبَ الرجلُ إذا ماتَ ، وتَرك عَقِباً ، أَي : ولداً ، يقال : كان له ثلاثةُ أولادٍ ، فأَعْقَبَ منهم رَجُلانِ ، أَي : تَركا عَقِباً.

وكذا جاء في معجم مختار الصحاح للرازي : عَقِبَ الرجل أيضا ولده ، وولد ولده.

ج : النسل.

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور عند مادة (نسل) ، النَّسْل : الخلْق ، والنَّسْل الولد ، والذرِّية ، والجمع أَنسال ، وكذلك النَّسِيلة ، وقد نَسَل ينسُل نَسْلاً ، وأَنسَل ، وتَناسَلوا أَنسَل بعضُهم بعضاً ، وتناسَل بنو فلان إِذا كثر أَولادهم ، وتَناسَلوا ، أَي : وُلد بعضهم من بعض.

وكذا جاء في معجم القاموس المحيط للفيروز آبادي ، النَّسْلُ: الخَلْقُ والوَلَدُ ، وتَناسَلوا: أَنْسَلَ بعضُهم بعضاً ، وكذا جاء في معجم مختار الصحاح للرازي : النَّسْلُ الولد ، و تَنَاسَلُوا ، أي : ولد بعضهم من بعض.

ثالثاً : المضامين التربوية.

يقصد بها : التوجيهات التربوية المستنبطة من الآيات الكريمات ، التي وردت فيها لفظة الذرية بمختلف اشتقاقاتها.



رابعاً : حدود الدراسة.

اقتصرت هذه الدراسة على الآيات الكريمات فقط ، التي جاء فيها لفظة الذرية باشتقاقاتها المختلفة ، دون المترادفات.





التوجيهات التربوية

المستنبطة من الآيات الكريمات

التي وردت فيها لفظة الذرية



بعد أن تم حصر الآيات الكريمات التي وردت فيها لفظة الذرية بمختلف اشتقاقاتها ، والتي بلغ تكرارها (٣٢) مرة ، في (٣٠) آية موزعة على تسع عشرة سورة ، رجعت إلى كتب التفسير المعتبرة عند أهل العلم ، لبحث ما كتب حولها من تأويلات واجتهادات للاهتداء بما ذكروه في استنباط بعض التوجيهات التربوية التي حوتها الآيات.

وإنني لا أجزم أن ما أذكره هنا من توجيهات تربوية حول هذه الآيات أنها حقيقة ما أشارت إليه الآيات الكريمات ، أو أنها التوجيهات الوحيدة التي لا يوجد غيرها ، وإنما هو جهد المقل المعترف بخطئه ، وقصوره ، وهي إن صح القول تأملات خلصتُ إليها بتوفيق الله تعالى نتيجة خبراتي المتواضعة في دراسات العلوم التربوية لمرحلتي الماجستير والدكتوراه من جهة ، ونتيجة تجربتي في تربية أولادي خلال ما يقارب ربع قرن من الزمن من جهة ثانية ، ومن خلال تجاربي الشخصية عبر مسيرتي العملية في الحياة من جهة ثالثة ، وما عايشته بنفسي وشاهدته بعيني من تربية بعض المقربين من أقارب وأصحاب لأولادهم من جهة رابعة.

وبعد هذه المسيرة العلمية والعملية التي ذكرت طرفاً منها ، أستشعر مسؤوليتي العظيمة تجاه مجتمعي ، وأمتي المسلمة ، فأضع



هذه التوجيهات التربوية أمام المربين من آباء ، وأمهات ، ومعلمين ، ودعاة ، وأئمة ، وخطباء ، ومصلحين ، ومسؤولين ، وكل من له علاقة بالعملية التربوية من قريب أو من بعيد ، للنظر والتأمل لعلهم يجدون فيها بعض الفائدة مما يكون عوناً لهم بتوفيق الله تعالى وقدرته في تربية ناشئة المسلمين وشبابهم وفق منظور تربوي إسلامي مستنبط من كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه محمد ﷺ.



الآية الأولى: قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (البقرة:١٢٤).

إن المتأمل في هذه الآية الكريمة ، وهي أول آية جاءت فيها لفظة الذرية في القرآن الكريم ، يلحظ أنها ركزت على قضيتين أساسيتين في حياة الإنسان ، وهي : القيام بالواجبات الشرعية ، واعتماد الأولاد على أنفسهم ، وكأنها في رأيي مقدمة لبقية الآيات المتناولة للفظة الذرية :

أولاً :القيام بالواجبات الشرعية على أكمل وجه.

إن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته ، وأمرهم بتكاليف شرعية لا تقوم الحياة ولا تصلح إلا بها ، وجعل لكل منهم إرادة الخير والشر ، وكل ذلك يدور في فلك قضية من أهم القضايا التي وُجد الإنسان من أجلها تلكم هي: قضية الابتلاء ، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (الملك :٢).

وقضية الابتلاء هذه كان أشرف الخلق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم عرضة لها بل أشد الناس بلاءً ، " فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه



قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا ، قَالَ : " أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ قُلْتُ ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ قَالَ : أَجَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا "[1].

وفي الحديث الشريف سُئل النبي ﷺ أي الناس أشد بلاءً ، فقال ﷺ : " الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ : يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ"[2].

المهم في هذه القضية أن الإنسان يجب أن يستقر في ذهنه وقلبه وشعوره ويربي أولاده ، ومن حوله أن كل شيء بقضاء الله تعالى وقدره ، وأن يتفاعل مع الابتلاء تفاعلاً إيجابياً سواء كان الابتلاء شراً ، أم خيراً بما ورد من نصوص الكتاب الكريم ، والسنة المطهرة ، فكلا هما خير له ، فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله : " عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا

---

[1] (صحيح البخاري ، حديث رقم : ٥٦٤٨ ، كتاب : المرضى ، باب : أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل).

[2] (سنن الترمذي ، حديث رقم ٢٣٩٨ ، كتاب : الزهد ، باب : ما جاء في الصبر على البلاء).



لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ "[1].

ثانياً : اعتماد الأولاد على أنفسهم.

إن الرفعة والمنزلة التي حصلت للآباء والأجداد بما لاقوه في حياتهم من ابتلاء وتفاعلوا معه تفاعلاً ايجابياً للغاية ربما لا تحصل هذه الرفعة والمنزلة للأولاد بالوراثة ، فسنة الله تعالى الجارية أن يجتهد الأولاد لتأسيس مكانتهم الاجتماعية بطاعة الله تعالى ، وطلب مرضاته ، وبالصبر ، وبالسهر ، والتعب ، والجد ، والاجتهاد والمثابرة ، وبذلك تتحقق لهم بإذن الله تعالى المكانة المرموقة التي يتطلعون إليها ، فمن جَدَّ وَجَدْ ، ومن سار على الدرب وصل ، أما من حاد وابتعد ، وظلم نفسه بأي نوع من أنواع الظلم ، فقد وضع لنفسه عقبات ، وحواجز حسية ، ومعنوية تقف حائلاً أمام تقدمه ، وتفوقه وحصوله على ما يتطلع إليه من آمال وطموحات.

ومن صور التربية الخاطئة اليوم لدى كثير من الآباء ، إهمال هذا التوجيه بمعنى أنهم لا يغرسون في أولادهم في سني حياتهم الأولى الاعتماد على النفس ، وتكليفهم ببعض المهمات اليسيرة لأنفسهم خاصة ، ولوالديهم عامة من باب تدريبهم ، وتعويدهم لِتَحَمُّلِ مسؤوليات أكبر في المستقبل ، فتجد الوالدين فقط

---

[1] (صحيح مسلم ، حديث رقم ٧٥٠٠ ، كتاب : الزهد ، باب : المؤمن أمره كله خير).

منهمكين في تلبية جميع احتياجات أولادهم بحيث لا يشعرونهم البتة بمسؤوليتهم في هذه الحياة ، فيشبون على ذلك ، وهم لا يعرفون من أمور حياتهم العملية شيئاً ، ولو صادف الولد أي عارض في حياته ، فإنه لا يعرف كيف يتصرف !! وأول ما يفكر فيه هو البحث عن والديه لحل المشكلة التي واجهته ، وهذا للأسف واقع مشاهد ومحسوس !!

لذلك أضع هذا التوجيه التربوي الإسلامي المهم أمام الوالدين للعمل على تطبيقه مع أولادهم ، وربما لو نظروا بعين فاحصة لمن أخذ به وطبقه مع أولاده لوجدوا حقيقته ، وثمرته ، وشاهدوا الفرق بين أولادهم ، وبين أولاد غيرهم.

الآية الثانية : **قال الله تعالى:** ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ **(البقرة:١٢٨).**

أشارت هذه الآية الكريمة إلى ثلاثة توجيهات تربوية مهمة هي : الدعاء المستمر للنفس وللأولاد ، وطلب العلم الشرعي والتبصر بأمور الدين ، والتوبة والإنابة إلى الله تعالى ، وفيما يلي عرض لهذه التوجيهات :



أولاً : الدعاء المستمر للنفس وللأولاد.

إن الدعاء عبادة عظيمة يتجلى فيها الافتقار ، والخضوع ، والحاجة لله جلّ وعلا ، وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ قوله: " الدعاء هو : العبادة " [1] ، ثم إنه بحول الله تعالى وقوته يصارع القدر ، ويرد شره ، ويستعجل خيره ، وثبت في الحديث الشريف عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ، و مما لم ينزل ، و إن البلاء لينزل ، فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة " [2].

وقال رسول الله ﷺ : " لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِخَطِيئَةٍ يَعْمَلُهَا " [3].

وإن الله تعالى لا يرد من دعاه وتوجه إليه فهو الكريم الجواد اللطيف بعباده ، وقد تأكد ذلك في قوله تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر:٦٠) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

---

[1] (سنن أبي داود ، حديث رقم ١٤٧٩ ، كتاب : الوتر ، باب : الدعاء).

[2] (الحاكم في المستدرك ، حديث رقم : ١٨١٣ ، كتاب : الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر).

[3] (سنن ابن ماجه ، حديث رقم : ٩٠ ، كتاب : السنة ، باب : في القدر).



وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (البقرة:١٨٦) ، فالأهم أن ندعو الله تعالى ونصدق معه فالإجابة مضمونه لأنه سبحانه وعد بها ، ومن أصدق من الله تعالى وعداً ووفاءً.

إن أفضل ما يدعو به الإنسان المسلم هو أن يكون من الموحدين لله تعالى قولاً ، وسلوكاً ، وأن يتعدى هذا الدعاء إلى صلاح الذرية لأن صلاحهم مطلب كل والدين ينشدان الخير ، والاستقامة لأولادهم ، وأولاد أولادهما إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولقد سمعت أذناي أكثر من مرة أباء يدعون لأولادهم بالهداية ، والصلاح بعد أن تلقفتهم الشهوات ، وأصدقاء السوء ، والعياذ بالله فانحرفوا عن جادة الطريق ، وبعد مناجاة ، وإلحاح ، وقرب من الله تعالى ، رأيت هؤلاء الأولاد ، وقد عادوا إلى الطريق المستقيم ، فحافظوا على الصلوات ، وبروا والديهم ، ووصلوا أرحامهم ، وأكملوا مشوارهم العلمي والعملي.

فاحرص أيها الأب ، وأيتها الأم على هذا التوجيه المبارك ، فله من الخير والبركة مالا يخطر في بالكما.

ثانياً : طلب العلم الشرعي والتبصر بأمور الدين.

من أوجب الواجبات على المسلم أن يتبصر بأمور دينه ، لكي يستطيع أن يعبد الله تعالى وفق ما شرع من غير زيادة ، أو نقصان ،

فقد أكدت الشريعة الإسلامية على طلب العلم في أكثر من توجيه، قال ﷺ : " طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ " [1] ، وقال ﷺ : " مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ " [2].

ولا شك أن تَعَلُّمَ الوالدين العلوم الشرعية الأساسية ينعكس إيجاباً ، وبشكل طبيعي على الأولاد ، فيتعلمون من والديهم بالمحاكاة ، والتقليد ، والسؤال عما يعرض لهم في حياتهم من تساؤلات ، واستفسارات تقتضيها مراحل عمرهم التي يمرون بها.

وفي الوقت ذاته يجب على الوالدين أن يحرصا على اقتناء الكتب الشرعية الأساسية مثل : تفسير القرآن الكريم ، ومختصر صحيح البخاري ومسلم ، وبعض كتب الفقه المختصرة ، ومجموعة من كتب الفتاوى للعلماء المعتبرين ، ومجموعة من كتب الأعلام والسير ، والموسوعات العلمية ، وما شابه ذلك ، ولعل اسطوانات "الكمبيوتر" الآن تقدم الكثير من العلوم الشرعية بسرعة فائقة ، وبأسعار زهيدة ، وربما مجانية.

وفي يقيني إذا نشأ الأولاد على هذا الجو العلمي العائلي ، الأب من جهة ، والأم من جهة ثانية ، فلا شك ولا ريب سيؤثر ذلك إيجاباً على تبصير الأولاد بالكثير من العلوم الشرعية ، وتكون في

---

[1] (سنن ابن ماجه ، حديث رقم : ٢٢٤ ، كتاب : السنة ، باب : فضل العلماء والحث على طلب العلم).

[2] (صحيح البخاري ، حديث رقم :٧١ ، كتاب : العلم ، باب : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين).

الوقت ذاته سياجاً ، وحصناً منيعاً بحول الله وقوته من الانحراف ، وارتكاب المحظورات الشرعية.

ثالثاً: التوبة والإنابة إلى الله تعالى.

لا يوجد إنسان على وجه الأرض لا يخطئ عدا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، فقد عصمهم الله من الخطأ والزلل، وقد أخبر الرسول ﷺ عن ذلك ، فقال : " كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ " [1].

والتوجيهات الشرعية من القرآن الكريم ، والسنة المطهرة في هذا الموضوع كثيرة جداً ، وليس هذا مجال بسطها ، ولكن هدفنا هنا التذكير بأهمية التوبة والاستغفار في حياة المسلم ، فالله تعالى تواب رحيم يقبل توبة عباده ، ويفرح بها سبحانه وتعالى مهما بلغت درجة ذنوبهم وعصيانهم.

ولعل ذكر شيء من التوجيهات الشرعية الحاضة على التوبة يذكرنا والقارئ الكريم بأهميتها ، ومن ذلك قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ

[1] (سنن الترمذي ، حديث رقم : ٢٤٩٩ ، كتاب :صفة القيامة ، باب : في استعظام المؤمن ذنوبه).

أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (التحريم:٨) ، وفي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ قال : " لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيِسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجَرَةً ، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا ، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا ، قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ "[1].

وإنني أؤكد هنا تأكيداً جازماً ، أن من كان بالله أعرف فهو منه أخوف ، فمن عرف الله حق المعرفة بأنه الخالق ، المدبر ، القادر ، الغفور الرحيم له الأسماء الحسنى والصفات العلى بيده ملكوت السموات والأرض إذا أراد شيئاً قال له : كُنْ فَيَكُونَ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس:٨٢) ، فلن يَقْدِم إنسان كائن من كان على عصيانه بل يكون شديد الحرص على كسب مرضاته وطاعته ، وإن عَرَضَ له عارض من زلة ومعصية تذكر الله تعالى ، فعاد إليه تائباً نادماً ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ (الأعراف:٢٠١).

---

[1] (صحيح مسلم ، حديث رقم : ٦٩٦٠ ، كتاب : التوبة ، باب : في الحض على التوبة والفرح بها).

الآية الثالثة : **قال الله تعالى** : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ **(البقرة:٢٦٦)**.

أشارت هذه الآية الكريمة إلى خمسة توجيهات تربوية مهمة هي : العمل بطاعة الله فيما أوتي الإنسان من مال ، والتخطيط الجيد لاستثمار المال ، وتعليم وتدريب الأولاد المحافظة على الأموال، والحذر من إنفاق المال في غير ما شرع الله تعالى ، والتفكر في آيات الله والاتعاظ بالغير ، وفيما يلي عرض لهذه التوجيهات :

أولاً : العمل بطاعة الله فيما أوتي الإنسان من مال.

المالُ نعمة عظيمة من الله تعالى ، وهو زينة الحياة الدنيا بنص القرآن الكريم قال الله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ **(آل عمران:١٤)** ، وقال تعالى : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ **(الكهف:٤٦)** .



ولكنَّ الشارع الحكيم أمر رَبَّ المال بإقامة حق الله فيه بإنفاقه في الوجوه الشرعية من دفع الزكاة للمستحقين ، وإطعام الطعام ، ومواساة الفقراء ، والمساكين ، ورغب في أعمال البر من إنشاء المساجد ، والدور الوقفية ، وما شابه ذلك ، وَحَذَّرَ من الإسراف والتبذير اللذين هما صفة الشياطين قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ (الإسراء:٢٧) وفي مقابلها صفة التوسط والاعتدال في الإنفاق وهي صفة عباد الرحمن ، كما أخبر عنهم الله تعالى بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (**الفرقان : ٦٧**) ويقول ابن كثير - رحمه الله - أي : ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ، ولا بخلاء على أهْليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم ، بل عَدْلا خيارًا ، وخير الأمور أوسطها ، لا هذا ولا هذا ، ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ ، كما قال: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ **(الإسراء:٢٩)**.

ثانياً : التخطيط الجيد لاستثمار المال.

إن الإسلام لا يُحَرِّمُ حب المال ، فهو فطرة بشرية بل يدعو المسلم بالمحافظة على ماله بتنميته ، والتخطيط لذلك ، وفق خطط،

ودراسات علمية ، وقد كان من خيار الصحابة الكرام من هم أصحاب مال ، وثراء من أمثال : سيدنا عثمان بن عفان ، وسيدنا عبد الرحمن بن عوف ﷺ، وقدموا للإسلام تضحيات عظيمة كان لها الدور الفاعل في خدمة الدين ، فنعم المال الصالح للمرء الصالح كما جاء في الحديث الشريف أن عمرو بن العاص ﷺ قال : " بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ ، وَسِلَاحَكَ ، ثُمَّ ائْتِنِي فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ ، فَصَعَّدَ فِيَّ النَّظَرَ ، ثُمَّ طَأْطَأَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُسَلِّمَكَ اللَّهُ ، وَيُغْنِمَكَ ، وَأَرْغَبُ لَكَ مِنْ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً ، قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ يَا عَمْرُو : نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ "[1].

ثالثاً : تعليم وتدريب الأولاد المحافظة على الأموال:

يجب على الوالدين تعليم أولادهم منذ نعومة أظفارهم المحافظة على ما اكتسبوه من مال والتهيؤ لمواجهة متطلبات الحياة، لأن الحياة متجددة ، ومتغيرة ، ولا يتوقع الإنسان ما يحدث في المستقبل القريب فضلاً عن المستقبل البعيد.

ويحذر كل الحذر من الإسراف على نفسه وعلى أولاده بتلبية كل رغباتهم ، فالصغير لا يدرك الأمور ، ولا يحسب للعواقب ،

---

[1] (مسند الإمام أحمد ، حديث رقم : ١٧٠٩٦ ، حديث عمرو بن العاص عن النبي ﷺ).



فإذا تربى على سهولة وجود المال ، ولم يُعلِّمْه ويُربِّيه الوالدان الكسب المشروع ، والمحافظ على المال ، وإنفاقه في جهاته المشروعة، فبدون شك سيشب على ذلك ، ويضيع نفسه وماله ، فضلاً عن الأخطار الاجتماعية والاقتصادية المترتبة على ذلك لمجتمعه وأمته.

رابعاً : الحذر من إنفاق المال في غير ما شرع الله تعالى.

ويجب على الإنسان المسلم أن يحذر كل الحذر من التبذير والعبث بماله ، إما بإنفاقه في ما لا يرضى الله تعالى ، بأي لون من ألوان العبث والمجون ، من شرب خمر ، أو لعب ميسر ، أو ارتكاب فواحش ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ **(الإسراء : ٢٧).**

ويقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ أي : في التبذير والسفه ، وترك طاعة الله ، وارتكاب معصيته ؛ ولهذا قال: ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ ، أي : جحودًا ؛ لأنه أنكر نعمة الله عليه ، ولم يعمل بطاعته ؛ بل أقبل على معصيته ، ومخالفته.

وقال سيد قطب ـ رحمه الله ـ إن المبذرين إخوان الشياطين ، لأنهم ينفقون في الباطل ، وينفقون في الشر ، وينفقون في المعصية ، فهم رفقاء الشياطين وأصحابهم ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ لا

يؤدي حق النعمة ، كذلك إخوانه المبذرون لا يؤدون حق النعمة ، وحقها أن ينفقوها في الطاعات والحقوق ، غير متجاوزين ولا مبذرين.

ويجب أن يحذر الإنسان المسلم إذا سلم من هذه المعاصي المحسوسة ، أن ينفق أمواله رياء للناس ، أو يُتْبِع ما أنفق مناً ، أو أذى ، لأن كل ذلك يمحق بركة المال ، وقد يكون سبباً في انحراف أهله ، وذريته ، وهذا ما لا يتمناه ، أو يرومه عاقل حصيف.

خامساً : التفكر في آيات الله والاتعاظ بالغير.

إن التفكر في آيات الله من العبادات المطلوبة من الإنسان المسلم ، ويتفرد بها أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة التي عرفت ربها فعبدته حق عبادته ، ولذلك قال تعالى :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ **(آل عمران ١٩٠-١٩١).**

لذلك يجب على الإنسان المسلم أن يكون دائم التفكر في آيات الله تعالى مثل : خلق السموات والأرض ، وما أودعه الله فيها من مخلوقات كما أشارت إليه آية آل عمران المشار إليها آنفاً ،



ومثل: إفقار غني ، أو إغناء فقير ، أو زوال ملك ، أو امتلاكه ، أو زوال جاه ، أو امتلاكه ، وهو ما أشارت إليه الآية موضوع الدارسة (البقرة : ٢٦٦) ، وهذه الصور وغيرها ، منها ما هو ثابت في القرآن الكريم ومثاله : قصة قارون في سورة القصص ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ (القصص:٧٦) ، وما بعدها ، وفي السنة النبوية الشريفة ومثاله : حديث الثلاثة من بني إسرائيل الأبرص والأعمى والأقرع .[١] ، ومنها ما نقله لنا المؤرخون عبر سنين خلت ، ومنها ما نراه أمام أعيننا من حوادث الزمان ، وتقلبات الأيام والليالي ، وفيها من العبر والآيات الشيء الكثير ، ولكن السعيد من اعتبر ، وأخذ العبرة بهذه المشاهد ، وأخذ العبرة لنفسه ، ونقلها وعلمها لأولاده ، ومن لهم حق عليه قبل فوات الأوان ، ولات ساعة مندم .

ولعله من المناسب الإشارة إلى قصة شاهدتها رأي العين عن شخص كان متوسط الحال ودخله بالكاد يكفيه مع أسرته ، ثم أراد الله تعالى لهذا الرجل سعة في المال فَرُزِقَ ملايين الريالات عن طريق إرث إحدى قريباته ، وأخذ يبدد ماله يميناً وشمالاً بالشراء تارة

---

[١] (صحيح البخاري ، رقم الحديث : ٣٤٦٤ ، كتاب : أحاديث الأنبياء).



وبالسفر تارة أخرى ، ولم يحسن تصرف المال ويعمل به وفق طاعة الله وشرعه ، فأخذ المال يتبدد منه شيئاً فشيئاً ، وما هي إلا شهور، أو سنوات قليلة وعاد الرجل والعياذ بالله كما كان قبل الميراث!!

إن من المطلوب بشكل ملح ، أن تنقل هذه الصور التي تمثل آيات الله تعالى في مخلوقاته إلى الناشئة والشباب ، في المدارس ليتعرفوا ويطلعوا علي عظمة الله تعالى ، وقدرته في تصريف الأقدار بين الناس ، وأن هذه الحياة ما هي إلا دار محدودة الأيام ، والله تعالى يداولها بين الناس ، ليكون الجميع على حذر في التعامل مع هذه الدنيا ، وأن لا تعطى أكبر من حجمها ، ولكن من الأهمية بمكان أن يخصص لكل مرحلة دراسية ما يناسبها من هذه الآيات والعبر حسب مستوى التلاميذ.



ثانياً : سورة آل عمران

الآية الأولى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ **(آل عمران:٣٣- ٣٤).**

إن هذه الآية العظيمة ركزت تركيزاً شديداً على العناية التامة بتربية الأولاد وحسن رعايتهم ليكونوا صالحين مصلحين على مر الأزمان والدهور ، وفيما يلي عرض لهذا التوجيه :

العناية التامة بتربية الأولاد:

يقول الله تعالى : ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ **(الأعراف:٥٨)** ، فالأسرة الصالحة المباركة التي تعتني بتنشئة أولادها عناية فائقة وفق منهج التربية الإسلامية الصحيحة ، لا شك أن أولادها سيكونون على منهج الخير ، والصلاح ، والتقوى ، وواقع الحال هو الدليل والبرهان ، فالظل لا يستقيم إذا كان العود أعوج.

فلو نظرنا إلى ذرية الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، والصحابة رضوان الله عليهم ، و التابعين رحمهم الله والسلف



الصالح ومن تبعهم بإحسان لوجدنا صدق هذه القاعدة ، إلا من شذ عنها ، ولكل قاعدة شواذ ، كقصة نوح عليه السلام مع ابنه ، وسوف تأتي الإشارة إليها إن شاء الله صفحة (١٣٦).

ولذلك يكون من لازم القول ، أن يتنبه المربون والوالدان تحديداً لهذه القاعدة ، لأن واقعنا المعاصر اليوم يموج بكثير من القضايا التي سببها عدم قيام الوالدين بتربية أولادهم التربية الإسلامية ، فضيعوا هذه الأمانة الجسيمة ، وفرطوا في ما حمّلهم الله تعالى مسؤوليتهم ، قال ﷺ: " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ. أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ "[١] ، ولا شك أن إثم التفريط في تربية الأولاد عظيم وكبير جداً عند الله تعالى ، استناداً لقول الرسول ﷺ : " كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ "[٢].

الآية الثانية :قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ (آل عمران:٣٦).

أشارت هذه الآية الكريمة إلى أربعة توجيهات تربوية مهمة هي : مناجاة الله تعالى والقرب منه والشكوى إليه ، وأهمية دور الأم في تربية الأولاد ، والرضا بما قسم الله تعالى من الذرية وتفويض الأمر إليه ، وتحذير الأولاد من عداوة الشيطان لهم ، وفيما يلي عرض لهذه التوجيهات :

أولاً : مناجاة الله تعالى والقرب منه والشكوى إليه.

إن مناجاة الله تعالى والقرب منه ، والشكوى ، واللجوء إليه وكأنه قريب أشد القرب منا ، ويسمع كلامنا ، ويرى مكاننا أمر في غاية الأهمية ، وإذا تحقق هذا في حس الإنسان المسلم ، فجعل الله مراقباً لأعماله ، ورضي بما قسمه له ، فإنه متى ما دعاه ، فسوف يجد الله قريباً منه مجيباً دعوته ، لأن رحمة الله تعالى قريب من المحسنين ، المتبعين أوامره المجتنبين نواهيه ، ويصدق هذا

إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"[1].

ولعلي أورد قصةً واقعيةً رواها لي صاحبها ذات يوم ، فقال : كنت تخرجت من الجامعة ، وكنت أرغب أنا وزملائي في الحصول على وظيفة كعادة المتخرجين من الجامعة ، فتواعدنا مع مجموعة من الزملاء للذهاب إلى شخصية مرموقة في المجتمع ، وكان له علاقة شخصية جيدة مع بعض الزملاء للتوسط لنا لدى الجهات المختصة للتعيين ، فأخبرت والدي بذلك ، وكان والده من الصالحين حفظة كتاب الله تعالى ، فقال له : يا ولدي لو كان لك صديق حميم جداً ، وبإمكانه وقدرته أن ينهي لك موضوعك ، ثم عَلِمَ أنك ذهبت إلى شخص آخر لتطلب منه أن ينهي لك ذلك الموضوع وربما يقدر على إنهائه وربما لا يقدر ، فهل صديقك الحميم جداً يكون راضياً لفعلك ، أم يغضب عليك ؟!! فقال الابن : إنه من الطبيعي سيغضب عليّ ، فقال الوالد : إن الله تعالى هو ذلكم الصديق الحميم جداً ، ولله المثل الأعلى جلت قدرته.

---

[1] (صحيح البخاري ، حديث رقم : ٦٥٠٢ ، كتاب : الرقاق ، باب : التواضع).



ثم قال لي صاحب القصة : ذهبت مع زملائي ، وفي نيتي الاعتماد على الله تعالى في تعييني ، ولكن تطييباً ومسايرة لزملائي وعدم الشذوذ عنهم ذهبت معهم ، فما لبثت إلا زمناً قصيراً وأتاني تعييني ، فأخذت من والدي درساً عظيماً ، وفعلاً كان اعتمادي دائماً على الله في كل أمرٍ أزمع في طلبه وبعونه وتوفيقه كان يأتي ذلك الأمر بكل يسر وسهولة ، وقد لمست شخصياً صدق وتوجه صاحب القصة في بعض أموره التي رأيتها ، مما جعلني أستفيد شخصياً من هذا الموقف التربوي العظيم.

ولذلك يجب أن نغرس في نفوس أولادنا ، وناشئتنا الاعتماد على الله ، والاستعانة به ، لأننا نرى اليوم بُعد الناس عن ذلك ، فما تكون استعانتهم لله إلا بعد طلب الاستعانة من المخلوقين ، ولنا في حديث رسول الله ﷺ ووصيته لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما درس تربوي عظيم يؤكد أهمية الاعتماد والاستعانة بالله تعالى أولاً وأخيراً ، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : " كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا ، فَقَالَ يَا غُلَامُ : إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ



لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ "[1].

ثانياً : أهمية دور الأم في تربية الأولاد.

للأم دور عظيم ، ومهم جداً في تربية الأولاد ، ربما يفوق دور الأب ، وإن كان لكل منهما مجاله ، واختصاصه ، وأهميته ، ولكن لطبيعة وضع الرجل وانشغاله الدائم خارج البيت بسبب كسب الرزق له ، ولأولاده ، فإن الأم تتحمل العبء والهم الأكبر في التربية ، والتوجيه ، والإصلاح ، وهذا أمر يعرفه المتخصصون في التربية ، ومن تأمل ونظر أحوال الناس قديماً وحديثاً عرف تأثير الأم على أولادها تبين له حقيقة ذلك بكل وضوح وجلاء.

ولعل قصة الإمامين محمد بن إدريس الشافعي ، وأحمد بن حنبل الشيباني ـ يرحمهما الله تعالى ـ وكفالة أم كل منهما لولدها بعد وفاة أبيه وهما طفلان صغيران ، وقيامها بحسن تربيته ورعايته، وما بلغا من علم وفضل ومكانة يشار إليهما بالبنان في الماضي والحاضر والمستقبل ليؤكد الدور الكبير والمهم الذي يمكن للأم أن تؤديه في تربية أولادها.

ولذلك أكدت الشريعة الإسلامية على حُسن اختيار الزوجة والتي ستضطلع بهذه الرسالة التربوية المهمة ، فقال الرسول ﷺ :

---

[1] (سنن الترمذي ، حديث رقم : ٢٥١٦ ، كتاب : صفة القيامة والرقائق والورع ، باب : حديث حنظلة).

"تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ "[1].

فينبغي على الزوج أن يُحْسِنَ اختيار أم أولاده ، فهذا حق من حقوقهم ، حتى لا يحدث من سوء الاختيار تعثر الحياة الزوجية والإساءة إلى تربية الأولاد وتوجيههما ، فيكون ذلك سبباً في عقوق أولاده له ولها مستقبلاً ، وفي الوقت ذاته ، على المؤسسات التربوية والاجتماعية المختلفة أن تعتني بتأهيل الأمهات المقبلات على الزواج ، ليعرفن ما لهن وما عليهن ، فإن حُسن إعدادهن وتأهيلهن له من الآثار الإيجابية على الأسرة ، والمجتمع ، والأمة الإسلامية الشيء الكثير ، وقديماً قال شاعر النيل حافظ إبراهيم ـ رحمه الله تعالى:

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعباً طيب الأعراق

الأم روض إن تعهده الحيا   بالـــري أورق أيمـــا إيراق

وأيضاً قال معروف الرصافي ـ رحمه الله ـ :

فحضْن الأمّ مدرسة تسامتْ   بتربيةِ البنين أو البنات

وأخلاقُ الوليدِ تقاس حسناً   بأخلاق النساءِ الوالداتِ

وكما أكدت الشريعة الإسلامية على حسن اختيار الأم ، فقد أكدت أيضاً على حُسن اختيار الأب ، فقال رسول الله ﷺ : " إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ ، فَأَنْكِحُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ

---

[1] (صحيح البخاري ، حديث رقم : ٥٠٩٠ ، كتاب : النكاح ، باب : الأكفاء في الدين).

فِي الْأَرْضِ ، وَفَسَادٌ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَإِنْ كَانَ فِيهِ ؟ قَالَ إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ "[1].

ثالثاً : الرضا بما قسم الله تعالى من الذرية وتفويض الأمر إليه.

يميل الإنسان ربما بفطرته إلى تفضيل الذرية الذكور على الإناث ، إضافة إلى الموروثات ، والعادات ، والتقاليد التي تمجد ، وتتفاخر بإنجاب الذكور ، ولكن ليس ذلك بيد الإنسان ، فهو والحالة هذه مخلوق مُسَيَّرٌ ليس له من الأمر شيء سوى أنه سبب جعله الله موصل إلى تكوين الجنين في بطن أمه ، والخالق المدبر سبحانه وتعالى هو المقدر للذكورة والأنوثة ، قال الله تعالى : قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ (الشورى:٤٩ ـ ٥٠).

ويقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسير هذه الآية : إن الله جعل الناس أربعة أقسام : منهم من يعطيه البنات ، ومنهم من يعطيه البنين ، ومنهم من يعطيه من النوعين ، ذكوراً ، وإناثاً ، ومنهم من يمنعه هذا ، وهذا ، فيجعله عقيماً لا نسل له ، ولا ولد له، لأنه عليم بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام ، وقدير على من يشاء من تفاوت الناس في ذلك.

---

[1] (سنن الترمذي ، حديث رقم : ١٠٨٥ ، كتاب : النكاح ، باب : إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه).

وبعد هذا التوجيه الإلهي ما على الإنسان المسلم إلا الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره ، فيما يُرزق من ذرية ، بل يحمد الله ويثني عليه ، فما رُزق به هو الخير المستحق له بدون أدنى شك ، لأن عدم التسليم والاعتراض لا يجدي ولا يغيِّر من قضاء الله تعالى وقدره شيئاً ، بل قد يكون وبالاً عليه ، وقدحاً في عقيدته وإيمانه.

رابعاً : تحذير الأولاد من عداوة الشيطان لهم.

إن عداوة الشيطان للإنسان ليست وليدة اليوم ، أو لها وقت محدد ، بل هي قديمة منذ أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام فامتنع من السجود له عصياناً وتمرداً على الخالق جل وعلا ، وتستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد حذرنا الشارع الحكيم في كثير من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية المطهرة منه ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ



بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ **(الأعراف:١١- ١٧)** ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ **(فاطر:٦)**.

ومن الأحاديث قول الرسول ﷺ : " إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ "[1].

وقد حفظ الله تعالى عباده المخلصين من عداوة الشيطان واستثناهم الله عز وجل في قوله : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ **(الحجر:٤٢)** ، وقال تعالى ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ **(الإسراء:٦٥)**.

ويقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ عند تفسير قوله تعالى :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ أي : تسلط وإغواء بل الله يدفع عنهم ـ بقيامهم بعبوديته ـ كل شر ويحفظهم من الشيطان الرجيم ، ويقوم بكفايتهم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ لمن توكل عليه ، وأدى ما أمر به.

ولذلك يجب على الوالدين تنبيه الأولاد على عداوة إبليس المتأصلة لهم ، فيكونوا على حذر من نزغاته ووسوسته بالاستعاذة

---

[1] (صحيح البخاري ، حديث رقم : ٢٠٣٨ ، كتاب : الاعتكاف ، باب : زيارة المرأة زوجها في اعتكافه).

منه وبكثرة العبادة والمحافظة على الصلوات وقراءة القرآن الكريم، والأذكار الشرعية الصباحية والمسائية.

ولعل أهم التوجيهات الشرعية لكف أذى الشيطان الرجيم الذي يجب على العبد المسلم الأخذ بها هي : المداومة على قراءة آية الكرسي ، وسورتي المعوذتين ، لما ثبت في الحديث الشريف : " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ ، فَأَتَانِي آتٍ ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ : لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، فَقَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ " [1].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ [رضي الله عنه] قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، وقل أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ[2].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ [رضي الله عنه] قَالَ : بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْجُحْفَةِ وَالْأَبْوَاءِ إِذْ غَشِيَتْنَا رِيحٌ وَظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ بِأَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، وَأَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ،

---

[1] (صحيح البخاري ، حديث رقم : ٣٢٧٥ ، كتاب : بدء الخلق ، باب : صفة إبليس وجنوده).

[2] (صحيح مسلم ، حديث رقم : ١٨٩١ ، كتاب : فضائل القرآن وما يتعلق به ، باب : فضل قراءة المعوذتين).

وَيَقُولُ يَا عُقْبَةُ تَعَوَّذْ بِهِمَا ، فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا ، قَالَ : وَسَمِعْتُهُ يَؤُمُّنَا بِهِمَا فِي الصَّلَاةِ[1].

الآية الثالثة : قال الله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ **(آل عمران:٣٨).**

أشارت هذه الآية الكريمة إلى توجيهين تربويين مهمين هما : الدعاء للذرية ، وتحري الأوقات المناسبة لقبول الدعاء ، وفيما يلي عرض لهذين التوجيهين :

أولاً : الدعاء بطلب الذرية الصالحة.

سبقت الإشارة إلى أهمية الدعاء للذرية[2]

ثانياً : تحري الأوقات المناسبة لقبول الدعاء.

إن الله كريم ذو فضل وجود وإحسان ، ومن باب العقل السوي والمنطق السليم ، فلو كان لك عند مخلوق وهو صاحب جاه، أو مكانة حاجة ، فلا بد لك أن تختار الوقت المناسب وتتهيأ له باختيار الكلام البليغ ، ولبس أفضل الملابس وتطييبها ، وما شابه ذلك ، ولله تعالى المثل الأعلى فهو أحق بأن يتهيأ له ، وقد ذكر الإمام النووي في كتابه الأذكار آداباً كثيرة للدعاء نقلاً عن الإمام

---

[1] (سنن أبي داود ، حديث رقم : ١٤٦٢ ، كتاب : الصلاة ، باب : في المعوذتين)

[2] (انظر : التوجيه الأول من الآية الثانية في سورة البقرة ص ٣١).



أبي حامد الغزالي في الإحياء يرحمهما الله تعالى ، ولأهميتها في موضوع دراستنا ، وحاجة الناس إليها نذكرها :

الأول : أن يترصَّدَ الأزمان الشريفة ، كيوم عَرَفَة ، وشهر رمضان ، ويوم الجمعة ، والثلث الأخير من الليل ، ووقت الأسحار.

الثاني : أن يغتنمَ الأحوالَ الشريفة ،كحالة السجود ، والتقاء الجيوش ، ونزول الغيث ، وإقامة الصلاة وبعدَها ، وحالة رقّة القلب.

الثالث : استقبالُ القبلة ، ورفعُ اليدين ، ويمسحُ بهما وجهه في آخره.

الرابع : خفضُ الصوت بين المخافتة والجهر.

الخامس : أن لا يتكلّف السجعَ .

السادس : التضرّعُ ، والخشوعُ ، والرهبة .

السابع : أن يجزمَ بالطلب ، ويُوقن بالإجابة ، ويصدقَ رجاءه فيها ودلائلُه كثيرةٌ مشهورة . قال سفيان بن عُيينة رحمه الله : لا يمنعنّ أحدَكم من الدعاء ما يعلمُه من نفسه فإن الله تعالى أجاب شرّ المخلوقين إبليس إذ قال: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ **(الأعراف : ١٤ - ١٥).**

الثامن : أن يُلحّ في الدعاء ويكرّره ثلاثاً ، ولا يستبطئ الإجابة.

التاسع : أن يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى ، وبالصلاة على رسول الله ﷺ بعد الحمد لله تعالى والثناء عليه ، ويختمه بذلك كله أيضاً.



العاشر : أهمّها والأصل في الإجابة هو : التوبةُ وردُّ المظالم وأكل الحلال والإقبال على الله تعالى.[1].

---

[1] (النووي ، كتاب : جامع الدعـوات ، بـاب : فـي آداب الدعـاء) ، (الغزالي ، إحياء علوم الدين، كتاب : الأذكار والدعوات ، باب : في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة).



قال الله تعالى : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ (النساء:٩).

أشارت هذه الآية الكريمة إلى توجيهين تربويين مهمين هما : الحذر والوقاية سبيل للنجاة من الزلل ، وحُبٌّ لأخيك المسلم ما تحبه لنفسك ، وفيما يلي عرض لهذين التوجيهين :

أولاً : الحذر والوقاية سبيل للنجاة من الزلل.

إن الإسلام دين الوسط ، والاعتدال ، وشرائعه متوافقة مع فطرة الإنسان التي فطر الله الناس عليها ، والإنسان بضعفه ، وقصوره البشري يميل في بعض الأحيان إلى الاعتداء على الآخرين بأي وسيلة من وسائل الاعتداء المضرة بالآخر ، ولكون شرائع الإسلام جاءت لحفظ المقاصد الشرعية ، وهي : الدين والنفس والعقل والعرض والمال ، وقد ركزت الكثير من التشريعات على تنظيم العلاقات البشرية ، حتى يتم حفظ الحقوق : حق الله تعالى أولاً ، ثم حق العباد الذي أمر الإسلام برعايته وحفظه ثانياً.

ومن توجيهات الشارع الحكيم ، هناك عدة خطابات في موضوعات متعددة تؤكد على الجانب الوقائي ، بمعنى تحذير



الإنسان من مغبة الوقوع في أمر محذور ، وهو ما يعرف تربوياً بأسلوب الترهيب ، وقد ألف الإمام المنذري ـ رحمه الله تعالى ـ كتابه المشهور الترغيب والترهيب ، وذكر في جانب الترهيب الكثير من التوجيهات الشرعية التي تجعل المسلم على حذر من إتيانها.

والعقل السليم والفطرة السليمة تتفاعل بشكل إيجابي مع التوجيهات فتكون على حذر من الوقوع في المحظور خوفاً من عقاب الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ولذلك نجد أن القرآن الكريم كثيراً ما يكرر تقوى الله تعالى في تصرفاتنا وسلوكياتنا الظاهرة والباطنة لأجل الابتعاد عن إيذاء أنفسنا وإيذاء الآخرين.

ومما يجب أن يعتني به الإنسان هو : ضبط أقواله ، وأفعاله ، فتكون وفق منهج الله تعالى ، فلا يغتاب ، أو ينم ، أو يشتم أحداً ، فإما يقول خيراً ، أو يصمت ، قال الرسول ﷺ : " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ "[1].

[1] (صحيح البخاري ، حديث رقم : ٦٠١٨ ، كتاب : الأدب ، باب : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره).

قَالَ : لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ، أَوْ قَالَ : لِجَارِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ " [1].

وأيضاً جاء عن النبي ﷺ أنه قال للصحابي الجليل أبي هريرة ﷺ: " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا ، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، تَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَأَحْسِنْ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ ، تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَأَقِلَّ الضَّحِكَ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ " [2].

وفي الواقع أننا بحاجة ماسة جداً اليوم إلى تطبيق هذا التوجيه التربوي الكريم لأننا في زمان طغت على تصرفاتنا الأنانية ، والأثرة، فأصبح الغالبية العظمى لا يفكر إلا في نفسه وخاصته وفصيلته فقط ، وبنظرة غير فاحصة تجد صدق ذلك ، والله المستعان!!

---

[1] (صحيح مسلم ، حديث رقم : ١٧٠ ، كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه من الخير).

[2] (سنن ابن ماجه ، حديث رقم : ٤٢١٧ ، كتاب : الزهد ، باب : الورع والتقوى).



الآية الأولى : **قال الله تعالى :** ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ **(الأنعام:١٣٣).**

أشارت هذه الآية الكريمة إلى ثلاثة توجيهات تربوية مهمة هي : غرس معاني أسماء الله الحسنى وصفاته في الناشئة ، والاهتمام بمراعاة سنن الله في خلقه ، وطاعة الله تعالى بإتباع ما شرع أمراً ونهياً ، وفيما يلي عرض لهذه التوجيهات:

أولاً : غرس معاني أسماء الله الحسنى وصفاته في الناشئة.

إن الله سبحانه وتعالى غني رحيم له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وكثير منّا يقرأ أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، ولكن دون تدبر ، وتأمل ، ووعي ، وإدراك لما تتضمنه من معان سامية جليلة ، تغرس في النفس البشرية الثقة ، واليقين بقدرة الله تعالى ، وعظمته.

وهذا التوجيه مبحث تربوي عظيم يحتاج من المربين بعامة ، والباحثين التربويين بخاصة مزيد عناية واهتماماً لبيان مدلولات ومضامين أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، لغرسها في نفوس



الناشئة ، لتكون دافعاً قوياً لزيادة الإيمان ، وسياجاً ، ومنعة من التفريط في جنب الله تعالى.

ثانياً : الاهتمام بمراعاة سنن الله في الأرض.

إن الحياة منذ أن خلق الله تعالى الأرض ، وهي تسير إلى أجل مسمى علمه عند الله سبحانه ، والناس فيها في ابتلاء ، وكر وفر يتكون من خلال ذلك كله الثقافات والحضارات ، وكم من أمم عاشت سنين طويلة ، ثم أصبحت في ذاكرة التاريخ تروى أخبارهم ، وما كانوا عليه من صلاح أو فجور.

والله تعالى خلق الخلق لعبادته وإتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ، والكون كله بما فيه تحت مشيئة وقدرته سبحانه وتعالى، وقد وضع له قوانين وسنن عامة يسير عليها ، ومن عرفها والتزم بها التزاماً كاملاً نهج نهجاً موفقاً ، فاستحق رضا الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ومن سار على غير هدى ، ولم يتعرف على سنن الله تعالى ، فسيكون مآله الخيبة والخسران ، والعياذ بالله.

ويجب على الإنسان المسلم أن يأخذ العبرة ، والعظة من أحوال الناس والأمم السابقة ، وأن الله قادر على إهلاك أمم ، والإتيان بغيرها ، وأن يتعرف على السنن الكونية التي تسير عليها حياة الأمم، وقد تأكد هذا في كثير من توجيهات الشارع الحكيم ، فقال تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ

كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (آل عمران:١٣٧) ، وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ (النساء:٢٦) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (الأنعام:١١) وقال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (النمل:٦٩) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الروم:٤٢).

وتأكيداً على أهمية أخذ العبرة والعظة من أحوال الناس والأمم ، فقد أكد الله سبحانه وتعالى على أهمية ذلك ، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ (الحشر :٢).

ويؤكد الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره عند قول الله تعالى : (فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ) أي: البصائر النافذة ، والعقول الكاملة ، فإن في هذا معتبراً يعرف به صنع الله تعالى في المعاندين



للحق ، المتبعين لأهوائهم ، الذين لم تنفعهم عزتهم ، ولا منعتهم قوتهم ، ولا حصنتهم حصونهم ، حين جاءهم أمر الله ، ووصل إليهم النكال بذنوبهم ، والعبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب.

ويقول ـ رحمه الله تعالى ـ : إن هذه الآية تدل على الأمر بالاعتبار ، وهو اعتبار النظير بنظيره ، وقياس الشيء على مثله ، والتفكر فيما تضمنته الأحكام من المعاني والحكم ، التي هي محل العقل ، وتتنور البصيرة ويزداد الإيمان ، ويحصل الفهم الحقيقي.

كما بين الرسول ﷺ أهمية الاتعاظ بالغير ، فقال : " الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ "[1].

والمسلم العاقل ينبغي له أن يأخذ بهذا التوجيه القرآني ، فينظر في حال الناس من زاوية ، وحال هذه الأمم من زاوية أخرى ، فيأخذ من قصصهم وأحوالهم العبرة ، والعظة ، بمعنى إذا كانوا على خير ، وهداية ، وصلاح ، فيقتدي بهم ، ويتابعهم في ذلك وفق ما قررته الشريعة ، أما إذا كانوا على غواية ، وضلال ، وفجور ، فيحذر كل الحذر مما آلوا إليه من سوء خاتمة ، والعياذ بالله تعالى.

---

[1] (سنن ابن ماجه ، حديث رقم : ٤٦ ، كتاب : السنة ، باب : اجتناب البدع والجدل).



ثالثاً : طاعة الله تعالى بإتباع ما شرع أمراً ونهياً.

تشير الآية الكريمة إلى قضية مهمة للغاية ، وهي : أهمية طاعة الله تعالى والعمل بها في كل ما أمر به الشارع الحكيم ، واجتناب كل ما نهى عنه ، لأن المخلوق يريد كل ما هو في سلطانه يسير وفق مراده ، وما خطط ورسم له خالياً من المنغصات ، ولله المثل الأعلى ، فهو الخالق المدبر سبحانه وتعالى ، يريد ملكه بكل ما فيه خالياً من أنواع الظلم ، والموبقات ، والمعاصي ، والذنوب ، ومن تغافل عن أوامره ، ونواهيه ، فعاقبته الزوال ، وسوء المصير ، والعياذ بالله من ذلك ، وهي سنة ماضية لكل من كان هذا دأبه.

وهذا ما عبر عنه الرسول ﷺ في حديث النعمان بن بشير ﷺ حيث قال : " سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ "[1].

---

[1] (صحيح مسلم ، حديث رقم : ٤٠٩٤ ، كتاب : المساقاة ، باب : أخذ الحلال وترك الشبهات).

فالمسلم البصير الموفق بتوفيق الله تعالى يلتزم طاعة ربه سبحانه في كل أوامره ، ونواهيه ، وإن مسه طائف من الشيطان تذكر خالقه وما أعده من عقاب للعاصي ، وثواب للمطيع ، فما يلبث أن يعود إلى صوابه ، ورشده ، ويستقيم على طاعة الله جلّ وعزّ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (الأعراف : ٢٠١).

الآية الثانية : **قال الله تعالى** : ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ **(الأنعام:٨٤).**

تضمنت هذه الآية الكريمة توجيهاً تربوياً مهماً هو : الاقتداء بعباد الله الصالحين ، وفيما يلي عرض لهذا التوجيه :

الاقتداء بعباد الله الصالحين.

لقد وجه الله تعالى رسوله الكريم محمداً ﷺ إلى الاقتداء بمن سبقه من الأنبياء عليهم السلام ، فقال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ **(الأنعام:٩٠).**



ويقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره : فقد امتثل الرسول ﷺ ، فاهتدى بهدي الرسل قبله ، وجمع كل كمال فيهم ، فاجتمعت لديه فضائل وخصائص ، فاق بها جميع العالمين ، وكان سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

فكما وجه الله نبيه سيدنا محمداً ﷺ إلى الاقتداء بمن قبله من الأنبياء عليهم السلام ، وجه أمته إلى الاقتداء به ﷺ ، فقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب:٢١).

ولأهمية الاقتداء بالصالحين ، فقد أمرنا الله تعالى بطلب ذلك في آية عظيمة من سورة الفاتحة وهي تتكرر معنا في اليوم ما لا يقل عن سبع عشرة مرة من غير الرواتب والنوافل ، وهذه الآية هي قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ (الفاتحة : ٦-٧).

ويوضح ابن كثير ـ رحمه الله ـ بأن قول الله تعالى : (**الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**) هم المذكورون في سورة النساء ، عند قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ



وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (النساء: ٦٩-٧٠) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك، من ملائكتك ، وأنبيائك ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين.

ويضيف الشيخ الجزائري - حفظه الله - في تفسيره : بأن صراط المنعم عليهم يشمل كل من أنعم الله عليهم بالإيمان به تعالى ومعرفته ، ومعرفة محابه ، ومساخطه ، والتوفيق لفعل المحاب وترك المكاره .

ولعل الشاعر الذي يقول :

فتشبهوا بهم إن لم تكونوامثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح

قد أدرك أهمية القدوة الحسنة والتشبه بالصالحين ، وحتى ولو لم يصل إلى مثل حالهم تماماً ، فيكفي التشبه بأحوالهم ، لعل الله تعالى يجعله مثلهم بنيته ، ورغبته في اللحاق بهم.

ويقول الشاعر المشار إليه يحضرني حديث الرسول ﷺ المتفق على صحته ، وهو كما رواه مسلم في صحيحه " عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : وَمَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ ، قَالَ : حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، قَالَ :



فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ، قَالَ أَنَسٌ : فَمَا فَرِحْنَا ، بَعْدَ الْإِسْلَامِ ، فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ، قَالَ أَنَسٌ : فَأَنَا أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَه ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ و، إِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ "[1].

وإنني أطالب الوالدين بشدة بأهمية التأسي بأحوال الصالحين في تربية أولادهم ، وفي مقدمتهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لأن الآية الكريمة المشار إليها قررت مبدأ قرآنياً تربوياً عظيماً ، وهو : (وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) ، أي : من يتأسى بحال هؤلاء الكوكبة النيرة من الأنبياء في حسن تربيتهم لأولادهم وفي صبرهم على طاعة الله تعالى ، سيجعل الله له ذرية صالحة مباركه تقر بهم عينه ويثلج بهم صدره .

الآية الثالثة : **قال الله تعالى :** ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾ **(الأنعام:٨٧).**

أشارت هذه الآية الكريمة إلى توجيهين تربويين مهمين هما : الأخذ بأسباب الهداية ، وآثار هداية المهتدي على الأسرة ، وفيما يلي عرض لهذين التوجيهين :

[1] (صحيح مسلم ، حديث رقم : ٦٧١٢ ، كتاب : البر والصلة ، باب : المرء مع من أحب).

أولاً : الأخذ بأسباب الهداية.

إن الهداية بدون أدنى شك من الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾(القصص:٥٦) ولكن هناك أسباباً موصلة لها ، وهي من السنن الكونية التي نُظمت بها الحياة ، فمن رام طريق الهداية يجب عليه أن يسلك السبل الموصلة إليها ، ومنها :

١. توفيق الله تعالى لنعمة الهداية : قال تعالى : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ (هود : من الآية٨٨) .

٢. الإيمان بالله تعالى ، وهو محور أساس في الدين لأنه يعني التصديق والاستسلام لكل ما جاء به الشرع من المغيبات ، ومن وُفق لذلك ، وُفق بعناية الله إلى هداية القرآن الكريم : ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ (الأعراف:٢٠٣).

٣. تقوى الله تعالى ، فهي الطريق الأوحد لكسب الهداية ويؤكد ذلك الكثير من النصوص ، قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة: من الآية٢٨٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ (محمد:١٧) .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (آل عمران: من الآية١٠١) .

٥. البعد عن اتباع الهوى لأنه سبب للزيغ والهلاك ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأنعام).

٦. عدم اتباع الشيطان وخطواته لأنه العدو الأول للإنسان المتربص به ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ (الأنعام:٧١).

٧. إخلاص العبادة لله وتوحيده ، وعدم الشرك به ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الأنعام:٨٢).



٨. المجاهدة في اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه سبب رئيس لحصول الهداية من الله ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ **(العنكبوت:٦٩).**

ثانياً : آثار هداية المهتدي على الأسرة.

إن الرجل المهتدي الذي وفقه الله تعالى للهداية وحسن الالتزام ، سيكون بشير خير على أهله ، وعشيرته ، فيبدأ بنصحهم، وإرشادهم ، وتبيين ما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم ، ولا شك أن دعوته ستلقى الكثير من القبول ، مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾ **(إبراهيم:٤)** ، وكم رأينا من رجل صالح مصلح أثر إيجاباً في أهله ، وذويه ، فأصبحوا في أجواء الهداية منعمين وتحت ظلالها الوارفة متفيئين.

الآية الأولى : قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (الأعراف:١٧٢).

أشارت هذه الآية الكريمة إلى توجيهين تربويين مهمين هما : وحدة الإنسانية وعدم التمايز إلا بالتقوى ، والمحافظة على سلامة الفطرة البشرية ، وفيما يلي عرض لهذين التوجيهين :

أولاً : وحدة الإنسانية وعدم التمايز إلا بالتقوى.

تُقرر الآية الكريمة بوضوح مبدأ وحدة الإنسانية ، بأن جميع البشر من نسل أدم عليه السلام ، ولا فرق بين عربي وعجمي ، وبين أبيض وأسود إلا بالتقوى ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (الحجرات:١٣).

وقد أكد رسولنا الكريم ﷺ هذا المعنى في حجة الوداع في خطبته المشهورة ، فقال : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى



عَرَبِي ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ ، إِلَّا بِالتَّقْوَى ، أَبَلَّغْتُ ؟ قَالُوا بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ قَالُوا : يَوْمٌ حَرَامٌ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟ قَالُوا : شَهْرٌ حَرَامٌ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّ بَلَدٍ هَذَا ؟ قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ ، وَأَمْوَالَكُمْ ، قَالَ : وَلَا أَدْرِي ، قَالَ : أَوْ أَعْرَاضَكُمْ ، أَمْ لَا ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، أَبَلَّغْتُ ؟ قَالُوا بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ "[1].

وإن ما يشاهد اليوم من تمييز مقيت في البلاد غير الإسلامية في اللون والجنس والمعتقد ، فلا تثريب عليهم في ذلك ، لجهلهم وبعدهم عن توجيهات الإسلام السامية ، أما أن يكون التمييز داخل بلاد الإسلام ، فهذا ما يأباه العقل السليم والفطرة السوية ، وتؤكد على رفضه توجيهات الشارع الحكيم ، " فعَنْ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ ، قَالَ : لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه بِالرَّبَذَةِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمْ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ ،

[1] (مسند الإمام أحمد ، مسند الأنصار ، حديث رقم : ٢٢٣٩١).



فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ "[1].

ومما يؤكد عظمة الإسلام ونبذه للعنصرية والعصبية الجاهلية قول الرسول ﷺ عندما احتج المهاجرون والأنصار عام الخندق في انتساب سلمان الفارسي رضي الله عنه لكل منهم ، فحسم الرسول ﷺ الأمر فقال قولته الخالدة: " سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ"[2].

وأيضاً تقديمه لصهيب الرومي ولبلال الحبشي رضي الله عنهما واعتبرهما ضمن كبار شخصيات أصحابه رضي الله عنهم ، وأمَّر الرسول ﷺ على قيادة جيشه أسامة بن زيد رضي الله عنهما وهو شاب في الثامنة عشرة ، وجعل تحت قيادته مجموعة من كبار أصحابه السابقين في الإسلام .

وفي المقابل نجد عم الرسول ﷺ أبا لهب وهو شريف وقرشي نزلت فيه آية كاملة تتلى إلى يوم القيامة ، وهي سورة المسد ، قال تعالى:

---

[1] (صحيح البخاري ، حديث رقم : ٣٠ ، كتاب : الإيمان ، باب : المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك).

[2] (المعجم الكبير للطبراني ، حديث رقم : ٥٩٠٨) ، (الحاكم في المستدرك ، حديث رقم : ٦٦١٨ ، كتاب : معرفة الصحابة رضي الله عنهم).

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾ (المسد : ١-٥).

ولله در الشاعر إذ يقول :

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه   فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب

لقد رفع الإسلام سلمان فارس   و قد وضع الشرك الشريف أبا لهب

ولذلك يجب أن يُغرس هذا التوجيه التربوي في نفوس أولادنا وناشئتنا وبيان السلبيات الخطيرة القائمة على التمييز في اللون والجنس والمعتقد في المجتمع والأمة الإسلامية ، ويؤكد عليه تأكيداً كبيراً عبر مراحل الدراسة المختلفة وعبر وسائل الإعلام المختلفة ، وبيان سيرة الرسول العظيم ﷺ ، ومواقفه العظيمة التي تؤكد على أن الرابطة الحقيقية بين المسلمين هي رابطة الإسلام وما سواه مرفوض جملة وتفصلاً.

ثانياً : المحافظة على سلامة الفطرة البشرية.

لقد غرس الله تعالى في فطر البشر من حين خروجهم من بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم الإشهاد على ربوبيته ، بأنه هو الخالق، والمدبر جل في علاه ، ولكن ربما تحدث مؤثرات على فطرة الإنسان ، فتتغير من الدين الصحيح والعقيدة السليمة إلى



أديان فاسدة ما أنزل الله بها من سلطان ، وهذا يصدقه حديث الرسول ﷺ المروي عن أبي هريرة ﷺ أنه قال : " كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ ، هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ ؟ "[1].

وهنا يجب على الوالدين العناية التامة بالمحافظة على فطر أولادهم بتربيتهم تربية إسلامية صحيحة ، والاجتهاد قدر المستطاع بإبعادهم عن ملوثات الفطرة من خلال ما يعرض في القنوات الفضائية الهابطة من مسلسلات ، وأفلام ، وأغان ساقطة ، وعبر ما يبث في مواقع الانترنت ، وما ينشر في بعض الصحف والمجلات من صور وأفكار منحرفة ، وغير ذلك من المؤثرات السلبية ، والحرص على إيجاد بيئات صالحة لأولاده مقرونة بالتوجيه والنصح والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة.

الآية الثانية : **قال الله تعالى :** ﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾**(الأعراف:١٧٣).**

أشارت هذه الآية الكريمة إلى توجيهين تربويين مهمين هما : طلب العلم الشرعي والتبصر بأمور الدين ، والتحذير من الاقتداء بالوالدين إن كانا على ضلال ، وفيما يلي عرض لهذين التوجيهين :

---

[1] (صحيح البخاري ، حديث رقم : ١٣٨٥ ، كتاب : الجنائز ، باب : ما قيل في أولاد المشركين).



أولاً : طلب العلم الشرعي والتبصر بأمور الدين.

تقع على الإنسان إذا بلغ درجة النضج والكمال العقلي مسؤولية التبصر بأمر دينه لمعرفة حقائق الأمور ، وهذا ولله الحمد ميسر بأسهل الطرق في زماننا هذا ، ومن أراد الله له الهداية والرشاد وفقه الله لذلك*.

ثانياً : التحذير من الاقتداء بالوالدين إن كانا على ضلال.

إن المشكلة تكمن في غفلة وقصور الكثير من البشر عن البحث والتحري لمعرفة الحقيقة ، واللجوء إلى أسهل الطرق بالاعتماد على ما كان عليه الآباء ، والأجداد ، حتى وإن كانا على ضلال ، وغواية ، وهذا العجز والقصور يمقته الإسلام مقتاً شديداً في تسع آيات من القرآن الكريم ، ولأهمية هذا التوجيه وخطورته للتنبه له ، نذكر كل هذه الآيات ، لكي يتنبه المربون المخلصون إلى هذه القضية ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (المائدة:١٠٤) ، وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الأعراف:٢٨) ،

---

* (انظر : التوجيه التربوي الثاني من الآية الثانية في سورة البقرة ص ٣٢).



وقوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (يونس:٧٨) ، وقوله تعالى : ﴿ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الأنبياء:٥٣) ، وقوله تعالى : ﴿ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الشعراء:٧٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ (لقمان:٢١) ، وقوله تعالى : ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الزخرف:٢٢) ، وقوله تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الزخرف:٢٣).

ولذلك ينبغي على المربين التحذير من الانجراف وراء الآبائية بتعصب وانغلاق دون وعي وتبصر وبحث عن حقائق الأمور بميزان الشرع الحنيف ووسطيته ، وخير وسيلة لذلك طلب العلم الشرعي من العلماء المعروفين بسلامة دينهم ، وتوجههم ، وإخلاصهم لدينهم وأمتهم.

كما يجب التنبيه إلى عدم الانسياق وراء التوجهات العقدية الخاطئة للوالدين ، والعمل على إصلاح ما يمكن إصلاحه

والإخلاص لهما ، امتثالاً لقول الله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (العنكبوت : ٨).

يقول الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ أن هذه الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص ﷺ فيما روى الترمذي " عن مُصْعَبَ بْنَ سَعْدٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ سَعْدٍ قَالَ : أُنْزِلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ ، فَذَكَرَ قِصَّةً وَقَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ : أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْبِرِّ ، وَاللَّهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا ، وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ ، قَالَ : فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطْعِمُوهَا شَجَرُوا فَاهَا ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ : (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى)[1].

---

[1] (سنن الترمذي ، حديث رقم : ٣١٨٩ ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة العنكبوت).



قال الله تعالى : ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ **(يونس:٨٣).**

أشارت هذه الآية الكريمة إلى أربعة توجيهات تربوية مهمة هي : وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ، والعناية بتربية الناشئة والشباب ، وإعداد برامج تأهيلية للكبار ، والحيطة والحذر من المفسدين في الأرض ، وفيما يلي عرض لهذه التوجيهات :

أولاً : وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين:

إن سنة الله تعالى في خلقه اقتضت أن الناس مختلفون في قبولهم للهداية ، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ **(يونس : ٩٩-١٠٠).**

ويقول ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير هذه الآية ، أي : (وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ) يا محمد ﷺ لأذن لأهل الأرض كلهم في الإيمان



بما جئتهم به ، فآمنوا كلهم ، ولكن له حكمة فيما يفعله ، ثم أورد - رحمه الله - الكثير من الآيات المتشابهة في هذا المعنى ، التي تؤكد أن الله تعالى هو الفعَّال لما يريد ، الهادي من يشاء ، المضل لمن يشاء ، لعلمه وحكمته وعدله ؛ ولهذا قال: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ .... وهو الخبال والضلال، (عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) أي : حججَ الله وأدلته ، وهو العادل في كل ذلك ، في هداية من هدى ، وإضلال من ضل.

والناظر في أخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، يجد أنهم عانوا من أقوامهم في تقبلهم للهداية ، وغالبية المهتدين معهم هم الشباب ، وصغار السن ، فهؤلاء عاطفتهم الدينية قوية جداً ، ولم تتلوث فطرهم بكثير من أنواع الظلم والمعاصي والذنوب ، ولديهم قبول سريع للحق بتوفيق الله تعالى على عكس الشيوخ فقد ترسخ في أذهانهم ، وفي قلوبهم الكفر والعقائد الفاسدة المنحرفة فهم أصعب ما يكون إلى قبول الهداية ، وتغيير ما ألفوه وما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم.

ويعلق الشيخ السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ على قضية إيمان الشباب مع موسى عليه السلام بخلاف الشيوخ ، فيقول : " والحكمة - والله أعلم - بكونه ما آمن لموسى إلا ذرية من



لتوجيههم ، وإرشادهم لاستصلاح ما فسد من أفكارهم ، وتعديل بعض سلوكياتهم لعل الله تعالى يختم لهم بأعمال صالحة موفقة ، فالعبرة بالخواتيم.

ولا شك أن هذا العمل يحتاج إلى تضافر كل المؤسسات التربوية المختلفة الرسمية ، وغير الرسمية لإعداد خطط وورش عمل ودراسات لوضع استراتيجيات يتم تنفيذها وفق مراحل وممدد واضحة ومحددة.

رابعاً : الحيطة والحذر من المفسدين في الأرض.

إن أخذ الحذر من العدو مطلب شرعي ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ ﴾ (النساء) وإن كان الآية الكريمة جاءت بإعداد العدة للعدو في الحرب ، حيث يقول ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ بأنها أمر من الله لعباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم ، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد وتكثير العدد بالنفير في سبيله.

ولاشك أن أعداء الإسلام اليوم أصبح لديهم من الوسائل

قومه، أن الذرية والشباب ، أقبل للحق ، وأسرع له انقياداً ، بخلاف الشيوخ ونحوهم ، ممن تربى على الكفر فإنهم ـ بسبب ما مكث في قلوبهم من العقائد الفاسدة ـ أبعد من الحق من غيرهم".

ثانياً : العناية بتربية الناشئة والشباب.

إن مما ينبغي أن يركز عليه المربون ، هو : العناية التامة بصغار السن ، والشباب ، وإعداد برامج هادفة مدروسة بعناية فائقة تسعى إلى تنمية أفكارهم ، وغرس المعتقدات السليمة في عقولهم ، ووجدانهم ، فالأسرة ، والمدرسة ، والإعلام ، والمسجد ، كل عليه مسؤولية عظيمة ، في هذا الجانب ، ولا بد من التنسيق ، وتوحيد الجهود لبناء النشء المسلم بناء متوازناً ، عقدياً ، وعقلياً ، وجسدياً، ولا تترك هذه الجوانب للأهواء ، والاجتهادات الفردية.

ومما هو جدير بالذكر أهمية الاستعانة بأصحاب الرأي ، والحكمة ، والمشورة كل في مجال اختصاصه هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لا يمكن إغفال الاستفادة من الخبرات الأجنبية وخصوصاً في الجوانب التنظيمية ، فالحكمة ضالة المؤمن ، فحيثما وجدها فهو أحق بها.

ثالثاً : إعداد برامج تأهيلية للكبار.

إذا كان التركيز على تربية الناشئة والشباب مطلب ملح ، فإن وضع وإعداد برامج تأهيلية ، وتوعوية للكبار مطلب مهم جداً



ومما ينبغي أن ينتبه إليه المعنيون بالتربية هو : الحذر من المسرفين والمفسدين ، والمنحرفين فكرياً ، وخلقياً ، وسلوكياً أياً كانوا ، والذين يلوثون الحياة بفكرهم ، وسلوكهم ، ويسعى بعضهم بقصد ، وبعضهم بغير قصد إلى إفساد ناشئة المسلمين لزعزعة معتقداتهم ، وهدم مبادئهم ، وقيمهم ، وعاداتهم ، وتقاليدهم المحافظة.

ولعل ما نلحظه في أيامنا هذه من تفشي القنوات الفضائية الهابطة ، ومواقع الإنترنت المنحرفة ، وبعض الكتابات الصحفية ، والروايات ، والمجلات التي لا هم لها إلا تشويه صورة الإسلام ، والنيل من علماء الأمة الإسلامية ، والتشكيك في الكثير من ثوابت الأمة الإسلامية التي نشأت وتربت وسارت عليها القرون الثلاثة المفضلة.

كل ذلك يجعل المسؤولية كبيرة على المؤسسات التربوية بمختلف فئاتها ، ومستوياتها لتنبيه ناشئة وشباب المسلمين إلى الضرر الكبير والخطر العظيم الذي يحدق بهم بسبب ما يبث ويعرض من فكر هابط ، وسلوكيات منحرفة ، تخدش الحياة وتهدم الفضيلة ، وتقضي على العفاف ، وتبعدهم عن دينهم وأصالتهم التي فيها عزهم ، ومجدهم ، وسعادتهم في الدنيا والآخرة.



الآية الأولى : قال الله تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ **(الرعد:٢٣- ٢٤).**

أشارت هذه الآية الكريمة إلى ثلاثة توجيهات تربوية مهمة هي : العاقبة الحسنة لعباد الله الصالحين ، والبشرى لعباد الله الصالحين بصحبة أولادهم في الجنة ، والبشارة بمضاعفة الأجر للعاملين كأسلوب تربوي قرآني ، وأهمية الصبر وعاقبته الحسنة ، وفيما يلي عرض لهذه التوجيهات :

أولاً : العاقبة الحسنة لعباد الله الصالحين.

إن الله تعالى وعد عباده الصالحين حسن الجزاء وحسن العاقبة ، وهي : جنات عدن خالدين ومنعمين فيها ، ولا شك أن ذلك مطلب ورجاء وأمل كل مسلم لأن فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر.

وقد ربط الشارع الحكيم في كثير من الآيات الكريمات دخول الجنة ونعيمها بالتقوى والعمل الصالح ، ومن أمثلة ذلك ، قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن



تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (البقرة : ٢٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ (النساء : ٥٧) ، وقال تعالى : ﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (إبراهيم : ٢٣) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الحج : ١٤).

وهذا الجزاء العظيم ، هو بفضل الله تعالى ، وعفوه ، وكرمه ، كما جاء في الحديث " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، فَقِيلَ : وَلَا أَنْتَ ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ : وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي رَبِّي بِرَحْمَةٍ "[1].

ولهذا ينبغي للمسلم الحريص على مرضاة ربه وطاعته لقاء ما أسبغ علينا من نعم ظاهرة وباطنه لا تعد ولا تحصى العناية التامة

---

[1] (صحيح مسلم ، حديث رقم : ٧١١٢ ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى).

بتقوى الله تعالى ، بفعل أوامره واجتناب نواهيه ، وبذل الوسع ، والجهد في ذلك.

ثانياً : البشرى لعباد الله الصالحين بصحبة أولادهم في الجنة.

إن من شدة ولع ، وشدة شغف الآباء بالأولاد ، وحرصهم على قربهم منهم ، فقد وعد الله تعالى الصالحين من عباده ، المؤدين أوامره ، المجتنبين نواهيه إضافة إلى تكرمه تعالى بدخولهم جنانه ذات النعيم المقيم أن يزف لهم البشرى السارة ، والفرح العظيم ، بأن تكون ذرياتهم معهم في الجنة ، ولكن شريطة صلاحهم ، وتأديتهم لما فرض عليهم من حقوق ، وواجبات.

وأورد ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ عند تفسير هذه الآية ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه.

وهذا التوجيه يؤكد علينا أمرين مهمين هما :

أولاً : تحفيز الوالدين بزيادة العمل الصالح والقرب من الله تعالى ، فإن ذلك مردوده عليهم عظيم ، وأي فضل أعظم من أن تكون مع الإنسان ذريته في الآخرة ، حتى ولو لم تعمل ذريته نفس عمل الأب ، ولكن بصلاح الأب ارتفعت الذرية في الجنة.

ثانياً : بذل مزيد من الجهد والعناية في تربية الأولاد والمحافظة عليهم وحسن رعايتهم رعاية تحفظ عليهم دينهم وأخلاقهم ، فهو بالإضافة



إلى سعادتهم بهم في الدنيا سيكون سعداء بهم أكثر في الآخرة ، نسأل الله تعالى من فضله.

فيا أيها الآباء والأمهات هلاّ بذلتما مزيداً من العمل الصالح ، ومزيداً من العناية في تربية أولادكم تربية إسلامية صحيحة ، لتحصلوا على هذه البشرى العظيمة والجائزة الثمينة من الله تعالى.

ثالثاً : البشارة بمضاعفة الأجر للعاملين.

النفس البشرية تحتاج إلى أساليب مناسبة لتربيتها ، ولا شك أن القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة يزخر كل منهما بالعديد من الأساليب التربوية المناسبة لها ، كيف لا والله تعالى هو خالقها ، ويعلم ما يصلحها وما يفسدها ، قال الله تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الملك:١٤).

وقد أشارت الآية الكريمة هذه إلى أسلوب تربوي عظيم ، وهو : (**البشارة بمضاعفة الأجر للعاملين**) ، وهناك العديد من الآيات الكريمات التي أشارت أيضاً إلى هذا الأسلوب في مواضع مختلفة ، منها : قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (البقرة:٢٥) ، وقال

تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾ (الزمر:١٧- ١٨) ، وقال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأحزاب:٤٧) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (فصلت:٣٠).

وهذا الأسلوب القرآني تحتاجه النفس البشرية في مختلف المراحل العمرية ، وفي مختلف المجالات الحياتية ، وما على المعنيين في هذه المجالات سوى الأخذ بهذا الأسلوب القرآني ، وسيجدون بإذن الله تعالى فوائده العظيمة في مضاعفة الجهد من العاملين ، وعلى التربويين المتخصصين في التربية وعلم النفس التربوي تحديداً بذل مزيد من الجهد لاستخراج هذه الأساليب التربوية.

رابعاً : أهمية الصبر وعاقبته الحسنة.

جاءت الآية : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الرعد) مباشرة بعد الآية (الرعد : ٢٣) التي وردت فيها لفظة الذرية ، وبينهما تلازم وارتباط ، فهي بيان وتوضيح وتأكيد بأن



النعيم الأخروي وما أعده الله تعالى لعباده الصالحين الذي ذكر في الآية (الرعد : ٢٣) لا يتأتى إلاّ بالصبر والمجاهدة ، ولهذا شواهد أخرى منها : قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ **(آل عمران :١٤٢).**

يقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ في هذه الآية استفهام إنكاري ، أي : لا تظنوا ، ولا يخطر ببالكم أن تدخلوا الجنة من دون مشقة واحتمال المكاره في سبيل الله وابتغاء مرضاته ، فإن الجنة أعلى المطالب ، وأفضل ما به يتنافس المتنافسون ، وكلما عظم المطلوب عظمت وسيلته ، والعمل الموصل إليه ، فلا يوصل إلى الراحة إلا بترك الراحة ، ولا يدرك النعيم إلا بترك النعيم ، ولكن مكاره الدنيا التي تصيب العبد في سبيل الله عند توطين النفس لها ، وتمرينها عليها ومعرفة ما تؤول إليه ، تنقلب عند أرباب البصائر منحاً يسرون بها ، ولا يبالون بها ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن الحياة ليست دائماً مفروشة بالورود والرياحين ، ولذلك لابد أن تواجه الإنسان بعض المصائب ، وليس له سبيل في مواجهتها سوى الصبر بعد الأخذ بالأسباب الشرعية لمواجهة ذلك.



ومما يؤكد ذلك قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ **(البلد : ٤)** ، ويقول الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسيره : وأصل الكبد الشدة ، ثم يصور حال الإنسان وما يعنيه من مشقة من حين ولادته إلى حين يُأمر به إلى جنة ، أو نار فيقول : وأول ما يكابد قطع سرته ، ثم إذا شُد رباطاً ، يكابد الضيق والتعب ، ثم يكابد الارتضاع ، ولو فاته لضاع ، ثم يكابد نبت أسنانه ، وتحرك لسانه ، ثم يكابد الفطام ، ثم يكابد الختان ، والأوجاع والأحزان ، ثم يكابد المعلم وصولته ، والمؤدب وسياسته ، والأستاذ وهيبته ، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه ، ثم يكابد شغل الأولاد ، والخدم والأجناد ، ثم يكابد شغل الدور ، وبناء القصور ، ثم الكبر والهرم ، وضعف الركبة والقدم ، في مصائب يكثر تعدادها ، ونوائب يطول إيرادها ، من صداع الرأس ، ووجع الأضراس ، ورمد العين ، وغم الدين ، ووجع السن ، وألم الأذن.

ثم يضيف ويقول : ويكابد محناً في المال والنفس ، ولا يمضي عليه يوم إلا يقاسي فيه شدة ، ولا يكابد إلا مشقة ، ثم الموت بعد ذلك كله ، ثم مسألة الملك ، وضغطة القبر وظلمته ، ثم البعث والعرض على الله ، إلى أن يستقر به القرار ، إما في الجنة وإما في النار.





لذلك يجب أن يستقر في ذهن المسلم ، وفي وجدانه أهمية الصبر وعاقبته الحسنة ، لأنه يكاد يكون العلاج الناجع للكثير من المشاكل التي يعاني منها الناس اليوم ، والتي أقضت مضاجعه، ومزقت ترابطهم.

الآية الثانية : **قال الله تعالى :** ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ **(الرعد: ٣٨).**

أشارت هذه الآية الكريمة إلى ثلاثة توجيهات تربوية مهمة هي : النظر والتأمل وأخذ العبرة من الأمم السابق ، ووجوب إتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام ، واليقين الكامل بتقدير الآجال والأقدار ، وفيما يلي عرض لهذه التوجيهات:

أولاً :النظر والتأمل وأخذ العبرة من الأمم السابقة.

سبق الحديث عن هذا التوجيه *.

ثانياً : وجوب إتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

إن الرسل عليهم الصلاة والسلام جاءوا مبلغين عن الله تعالى شرائع الدين من أوامرٍ ونواهٍ ، وأعد الله تعالى للمتبعين أوامره

* (انظر : التوجيه الثاني من الآية الأولى في سورة الأنعام ص ٦٢).



المجتنبين نواهيه الثواب الحسن في الدنيا والآخرة ، وأعد للمخالفين أوامره المتبعين نواهيه سوء العقاب في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ ﴾ (النساء:٦٤) ، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - في ثنايا تفسير هذه الآية : إن الغاية من إرسال الرسل ، أن يكونوا مطاعين ، ينقاد لهم المرسل إليهم في جميع ما أمروا به ، ونهوا عنه ، وأن يكونوا معظمين ، تعظيم المطاع من المطيع.

وعلى الإنسان المسلم أن يُسلِّمَ بما جاء من عند الله تعالى من أمر ونهي ، ويسعى لتطبيق ذلك بكل جد ، وعناية ، واهتمام ، وإخلاص ابتغاء مرضاة الله تعالى ، واجتناب سخطه ، وإن حدث منه تقصير من غير قصد فأرتكب معصية بدون إصرار فإن الله غفور رحيم يحب ويفرح بتوبة التائبين المعترفين بذنوبهم.

ثالثاً : اليقين الكامل بتقدير الآجال والأقدار.

إن الله سبحانه وتعالى قَدَّرَ المقادير ، وَكَتَبَ الآجال لكل خلق من مخلوقاته ، فهو العليم القدير المحيط لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، والناس جزء من ذلك ، آجالهم محدودة ، ومقاديرهم



مقدرة ، ولكن كل ميسر لما خلق له ، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ في الحديث الشريف : " عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَلِمَ نَعْمَلُ ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ ؟ قَالَ : لَا ، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ " ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ ﴾ **إلى قولـه** : ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ **(الليـل ٥ـ١٠)** "[1].

ويحضرني في ختام هذا التوجيه موقف دار بين الصحابيين الجليلين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما ، عندما خرج عمر ﷺ إلى الشام ، وأُخْبِر بأن الطاعون بأرضها ، ثم رجع عمر ولم يواصل مسيره إلى الشام ، فقال له أبو عبيدة ﷺ: " أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ ؟! نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ : إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ..الحديث "[2] .

---

[1] (صحيح مسلم ، حديث رقم : ٦٧٣١ ، كتاب : القدر ، باب : كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وعمله وشقاوته وسعادته).

[2] (صحيح البخاري ، حديث رقم : ٥٧٢٩ ، كتاب : الطب ، باب : ما يذكر في الطاعون).



وما على الإنسان المسلم والحالة هذه إلا التسليم الكامل بأقدار الله تعالى ، وآجاله المكتوبة على بني أدم من خير ورزق وسعادة وشقاء وصحة وعافية ، ولكن بعد أن يعمل ويجتهد ويسعى ويصبر ويحتسب ، فما يأتي بعد ذلك ، هو قدر الله تعالى ، وأجله الذى كُتب له.



الآية الأولى : قال الله تعالى : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (إبراهيم:٣٧).

أشارت هذه الآية الكريمة إلى ستة توجيهات تربوية مهمة هي: أهمية الدعاء للذرية ، والعناية بالمحافظة على الصلاة جماعة ، وتقديم التربية العقدية على التربية الجسدية ، ومن يطع الله ويستجب له يحقق آماله ، والعناية بشكر الله تعالى على نعمه ، والاهتمام بزيارة بيت الله الحرام ، وفيما يلي عرض لهذه التوجيهات:

أولاً : أهمية الدعاء للذرية.

وهذا من التوجيهات التربوية المهمة التي تكرر ذكرها في آيات الذرية ، وعلى الوالدين تحديداً العناية بالدعاء للذرية في كل وقت وحين ، وتحين الأوقات المناسبة لذلك .

سبق الحديث عن هذا التوجيه*.

* (انظر : التوجيه الأول من الآية الثانية في سورة البقرة ص ٣١).



ثانياً : العناية بالمحافظة على الصلاة جماعة.

من أهم ما يجب أن يعتني به الوالدان في تربية أولادهم ، هو المحافظة على جناب التوحيد الخالص ، ومن أهم الوسائل الموصلة لذلك الصلاة ، فهي عماد الدين ، وهي التطبيق العلمي له ، وهي أول ما يحاسب عليه العبد ، وهي صلة بين الله تعالى وعبده ، وهي الفرق بين المسلم ، والكافر فمن أداها ، وقام بحقها ، كان عهداً على الله أن يدخله الجنة ، فقد ورد في الحديث عن عبادة بن الصامت ﷺ قال : " سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ "[1].

إن العناية بالمحافظة على الصلاة مما هو معروف لدى المسلمين بداهة ، لمن وفقه الله ونشأ وترعرع على أهميتها ووجوب القيام بها ، وهناك عدد من التوجيهات الشرعية التي تؤكد هذا المعنى ، ونكتفي بإيراد بعضها للاختصار ، والحر تكفيه الإشارة، قال الله تعالى : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ

[1] (سنن أبي داود ، حديث رقم : ١٤٢٠ ، كتاب : الوتر ، باب : فيمن لم يوتر).



قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ (البقرة:٢٣٨) ، وقال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (طه:١٣٢)

يقول الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفسيره ، قوله تعالى : (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ) أَمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بأن يأمر أهله بالصلاة ، ويمتثلها معهم ، ويصطبر عليها ، ويلازمها ، وهذا خطاب للنبي ويدخل في عمومه جميع أمته ، وأهل بيته على التخصيص ، وكان عليه الصلاة والسلام بعد نزول هذه الآية يذهب كل صباح إلى بيت فاطمة وعلي رضوان الله عليهما ، فيقول : الصلاة.

ويقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ في هذه الآية الكريمة حث لأهلك على الصلاة من فرض ، ونفل ، وتعليمهم ما يصلح الصلاة ، ويفسدها ، ويكملها ، والاصطبار على إقامتها بحدودها، وأركانها ، وخشوعها ، وذلك مشق على النفس ، ولكن ينبغي إكراهها ، وجهادها على ذلك ، وقد ضمن الله الرزق لمن قام بأمر الله واشتغل بذكره.

ومن الشواهد الحديثية المهمة والمشهورة لدى عامة المسلمين سلفهم وخلفهم ، قول الرسول ﷺ : " مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ



أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ "[1].

وقد أوصى الرسول ﷺ بأهميتها والمحافظة عليها وهو في الرمق الأخير مودعاً الدنيا ، فعن علي ﷺ قال : كان آخر كلام رسول الله ﷺ : " الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم "[2]

ولا شك أن محافظة الوالدين على الصلاة محافظة تامة فيه تربية بالقدوة للأولاد ، فلا يجدون مشقة وعناء في التزام أولادهم بها على عكس الوالدين المفرطين في أداء الصلاة ، فاحرص أيها الأب، وأيتها الأم على أداء الصلوات وما يتبعها من رواتب ونوافل وستجدان الخير كل الخير في ذلك لكما ولذريتكما.

وقد تحتاجان أيها الوالدان في أداء هذه الرسالة العظيمة إلى صبر ، ومجاهدة ، ومثابرة ، ومتابعة مستمرة للأولاد ، حتى وإن كبروا ، وتزوجوا وخرجوا من دائرة بيت الوالدين ، وقد رأينا قدوتنا رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية يذهب كل صباح ، فيوقظ ابنته السيدة الجليلة فاطمة وزوجها المبارك علي رضي الله عنهما ، كما أشار إليه الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ آنفاً ، وحاشا فاطمة ، وعلي

---

[1] (سنن أبي داود ، حديث رقم : ٤٩٥ ، كتاب : الصلاة ، باب : متى يؤمر الغلام بالصلاة).

[2] (سنن أبي داود ، حديث رقم : ٥١٥٦ ، كتاب : الأدب ، باب : في حق المملوك).



رضي الله عنهما أن يتأخرا ، أو يتكاسلا عن الصلاة ، ولكن هو من باب تعليم الرسول ﷺ لأمته ، وهو القدوة الحسنة.

ولعلي أختم هذا التوجيه التربوي العظيم بملحوظتين مهمتين مشاعة بين كثير من الناس هما:

الأولى : بعض الآباء قد يحرص على أداء جميع الفروض جماعة في المسجد مع أولاده ، ولكن لا يهتم بحضور صلاة الفجر ، وإن حضرها لا تجده يحرص على إحضار أولاده معه من باب الرفق والشفقة بهم ، أو لأسباب دنيوية تافهة ، وهذا بدون شك خطأ عظيم ، وتقصير وإفراط من الأب قد يؤدي إلى عدم المبالاة من الأولاد ببقية الفروض مستقبلاً ، ولو علم بعظيم الخير من وراء إيقاظ أولاده معه والصبر على ذلك لما تأخر في إيقاظهم بل إن الإشفاق الحقيقي هو حضورهم لجميع الصلوات جماعة في المسجد ، والتوجيهات الشرعية المؤكدة على ذلك كثيرة ، ولكن أُذَكِّرْ فقط بحديثين لرسول ﷺ ، أولهما قوله ﷺ : " لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا "[1] ، وقوله ﷺ : " رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنْ

---

[1] (صحيح البخاري ، حديث رقم : ٦١٥ ، كتاب : الأذان ، باب : الاستهام في الأذان).



الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا "[1] ، وهذا فضل ركعتي سنة الفجر ، فما بالك بفضل صلاة الفجر.

الثانية : يميل بعض الناس إلى تأخير تأدية الصلاة بعد الفراغ من أعمالهم واجتماعاتهم وبشكل مستمر ، فلا تؤدى الصلاة إلا بعد أن ينتهي ذلك العمل أو ذلك الاجتماع على الرغم أنه لا توجد له أهمية تستوجب تأخير الصلاة ، وهذا أيضاً خطأ جسيم واستخفاف بركن عظيم من أركان الإسلام ، وإفراط في حق من حقوق الله تعالى ، فالأصل أن تكون الصلاة هي المُقَدَّمَة على كل عمل ، ثم يُنسق ويرتب وينظم الناس أعمالهم واجتماعاتهم بحسبها ، إما قبلها أو بعدها.

ولعلي استشهد هنا بقول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الحج : ٣٢) ، ويقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ شعائر الله أي : أوامره ، ولا شك أن الصلاة من أعظم أوامر الله تعالى ، ويضيف الشيخ الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في تفسيره أن هذه الآية الكريمة عامة في جميع شعائر الله ، والصلاة بدون شك من أعظم شعائر الله ، ولذلك فإن التهيؤ للصلاة فور سماع النداء دليل على تقوى القلوب وتعظيمها لأوامر الله تعالى.

---

[1] (صحيح مسلم ، حديث رقم : ١٦٨٨ ، كتاب : صلاة المسافرين ، باب : استحباب ركعتي سنة الفجر والحث عليهما).

ثالثاً : تقديم التربية العقدية على التربية الجسدية.

في الآية الكريمة ملحظ مهم للغاية ربما يغفل عنه كثير من الآباء ، وهو : أهمية العناية الفائقة بتربية الأولاد عقدياً بتحقيق العبودية الخالصة لله تعالى ، وإقامتها وفق ما شرع ، وتقديمها على التربية الجسدية المتمثلة في تلبية حاجاتهم من مأكل ، ومشرب ، وملبس.

ومما يؤسف له أن نرى اليوم من صور التربية الخاطئة أن يهتم الوالدان فقط بتلبية احتياجات الأولاد أياً كانت ، فهي عندهما مطلب أساس في التربية ، أو هي كل التربية ، فعلى سبيل المثال : إذا أراد الأبناء السفر إلى الخارج لبى طلبهم ، وإذا أرادوا السهر خارج البيت مع رفقة غير معروفة لبى طلبهم ، وإذا أرادوا شراء سيارة معينة لبى طلبهم ، وإذا أرادوا تناول طعام معين لبى طلبهم ، وهكذا ، فكل مطلب لأولاده محقق على الفور دون ما عناء أو أخذ أو عطاء.

أما إذا نظرت إلى الجانب العقدي ، والشرعي في تربيتهم لأولادهم ، فلا تكاد تجد له أدنى اهتمام إلا في أضيق الحدود ، ولذلك ، فإنه يجب على الوالدين تقوى الله تعالى ، والقيام بأداء أمانة تربية أولادهم تربية إسلامية صحيحة متوازنة تجمع بين التربية العقدية ، وبين التربية العقلية ، وبين التربية الجسدية.



رابعاً : من يطع الله ويستجب له يحقق آماله.

وعد الله تعالى عباده الصالحين الطائعين القائمين على أداء أوامره واجتناب نواهيه أن يستجيب دعاءهم ، ويحقق ما يؤملونه من خيري الدنيا والآخرة ، قال تعالى :﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ **(النحل:٩٧)** ، يقول ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً ، وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ﷺ ، من ذكر ، أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ، ورسوله ، وأن هذا العمل المأمور به مكفول من عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا ، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة ، والحياة الطيبة تشمل : وجوه الراحة من أي جهة كانت ، ثم ذكر عدة أقوال حولها : فمنهم من قال أنها : الرزق الحلال الطيب ، ومنهم قال : إنها القناعة ، ومنهم من قال : إنها : السعادة ، ومنهم من قال : إنها الرزق الحلال ، والعبادة في الدنيا ، و العمل بالطاعة ، والانشراح ، ثم قال : والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله.

ولذلك ينبغي على الإنسان المسلم أن يهتم ، ويعتني بقضية الإيمان مقروناً بالعمل الصالح لأنه هو مصداق إيمان العبد ، وكثير



من الآيات القرآنية الكريمة قرنت بينهما ، مما يبين أهمية التلازم بينهما ، فيا أيها العبد المسلم اعتن بهذا التوجيه أيما اعتناء مطبقاً إياه على نفسك أولاً معلماً به أولادك موضحاً لهم أهميته ، ومبيناً مكانته ، وثوابه في الدنيا والآخرة.

خامساً : العناية بشكر الله تعالى على نعمه.

لقد أصبغ الله تعالى علينا نعمه ظاهرة وباطنه ، قال جل وأعز : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ **(النحل:٥٣)** ، ومن تمام العبادة ، وحق الله تعالى علينا أن نشكره شكراً قولياً ، وعملياً ، فبالشكر تدوم النعم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾ **(إبراهيم:٧)**.

ومن الأحاديث الشريفة المؤكدة على وجوب عناية المسلم بشكر الله تعالى : " عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنْ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا "[1].

[1] (صحيح مسلم ، حديث رقم : ٦٩٣٢ ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب : استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب).

ويعلق سيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ في الظلال على قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ، فيقول: ونقف نحن أمام هذه الحقيقة الكبيرة : حقيقة زيادة النعمة بالشكر، نقف نحن أمام هذه الحقيقة تطمئن إليها قلوبنا أول وهلة لأنها وعد من الله صادق ، فلا بد أن يتحقق على أية حال ، فإذا أردنا أن نرى مصداقها في الحياة ، ونبحث عن أسبابه المدركة لنا، فإننا لا نبعد كثيراً في تلمس الأسباب ، إن شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية ، فالخير يشكر لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعي ، في الفطرة المستقيمة ، هذه واحدة ، والأخرى أن النفس التي تشكر الله على نعمته ، تراقبه في التصرف بهذه النعمة ، بلا بطر ، وبلا استعلاء على الخلق ، وبلا استخدام للنعمة في الأذى والشر والدنس والفساد ، وهذه وتلك مما يزكي النفس ، ويدفعها للعمل الصالح ، وللتصرف الصالح في النعمة بما ينميها ويبارك فيها ؛ ويرضي الناس عنها وعن صاحبها ، فيكونون له عوناً؛ ويصلح روابط المجتمع فتنمو فيه الثروات في أمان ، إلى آخر الأسباب الطبيعية الظاهرة لنا في الحياة ، وإن كان وعد الله بذاته يكفي لاطمئنان المؤمن ، أدرك الأسباب أولم يدركها ، فهو حق واقع لأنه وعد الله.



سادساً : الاهتمام بزيارة بيت الله الحرام.

يجب على المسلم أن يحرص كل الحرص على زيارة بيت الله الحرام للحج ، أو العمرة ، أو الزيارة ، ليدخل في الدعوة المباركة لسيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل صلاة وأزكى تسليم ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾.

وللشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ في اختتام تفسير هذه الآية كلام جميل يكتب بمداد من ذهب وهو : " وجعل فيه ـ يعني البيت الحرام ـ سراً عجيباً جذاباً للقلوب ، فهي تحجه ولا تقضي منه وطراً على الدوام ، بل كلما أكثر العبد التردد إليه ، ازداد شوقه ، وعظم ولعه وتوقه ، وهذا سر إضافته تعالى إلى نفسه المقدسة ".

وهذا واقع مشاهد وملموس لكل من تردد على البيت الحرام، فإذا دخله لا يريد الخروج منه ، وكم أناس من أهل هذه البلاد المباركة ، أو من المقيمين فيها لا يغيب عن الحرم إطلاقاً ، وقد يؤدي كل الصلوات فيه ، على الرغم من مشاغله ، وتعدد أعماله ، وربما بعدت المسافة بين مقر إقامته والحرم ، لكنه الشوق، والحنين ، والجاذبية العجيبة لبيت الله الحرام.

ويجب على الوالدين أن يحرصا كل الحرص على متابعة زيارة بيت الله الحرام ، ويتأكد ذلك في حق من وفقه الله للسكن مجاوراً للحرم أو قريباً منه ، وأن يصطحبا أولادهما معهما للطواف،

وأداء بعض الصلوات المفروضة ، والدعاء لأنفسهما ، ولذريتهما ، ففي ذلك خير عظيم لا يعلم مداه إلاّ الله سبحانه وتعالى.

الآية الثانية : **قال الله تعالى :** ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ **(إبراهيم:٤٠).**

وتتضمن الآية الكريمة توجيهين تربويين مهمين هما : أهمية الدعاء للنفس أولاً وللذرية ثانية ، والعناية بإقامة الصلاة والمحافظة عليها ، وفيما يلي إشارة إليهما :

أولاً : أهمية الدعاء للنفس أولاً وللذرية ثانية.

من يستغني عن خالقه ورازقه ومدبر أمره ؟!!! كلا ، لا أحد البتة ، فما أحوج الإنسان إلى الله تعالى في كل صغيرة ، وكبيرة ، فإذا حزبه أمر قام ، فتوضأ ، وصلى لله ركعتين ، ودعا الله ، وألح عليه ، فإن الله لا يخيب رجاء من دعاه ، فهو الكريم مجيب دعوة المضطرين إذا دعوه.

فيجب على الإنسان عند شروعه في الدعاء أن يحرص على الدعاء لنفسه أولاً بأن تكون نفسه صالحة مصلحة مقيمة لحدود الله تعالى ، وفرائضه ، ومن أهم فرائض الدين على الإنسان الصلاة[1].

---

[1] (انظر : حول أهمية الدعاء ، التوجيه التربوي الأول من الآية الثانية في سورة البقرة ص ٣١).



والدعاء للنفس أولاً تكرر مراراً في كثير من توجيهات القرآن الكريم ، فمن ذلك قول الله تعالى على لسان أبينا إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ (إبراهيم : ٤١) ، وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (نوح : ٢٨).

وجاء في الحديث الشريف أهمية أن يبدأ الداعي بنفسه " عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا فَدَعَا لَهُ بَدَأَ بِنَفْسِهِ "[1].

ثانياً : العناية بإقامة الصلاة والمحافظة عليها.

سبقت الإشارة إلى هذا التوجيه بتوسع*.

[1] (سنن الترمذي ، حديث رقم : ٣٣٠٧ ، كتاب : الدعوات ، باب : ما جاء أن الداعي يبدأ بنفسه).

* (انظر : التوجيه الثاني من الآية الأولى في سورة إبراهيم عليه السلام ص ٩٨).



الآية الأولى : **قال الله تعالى :** ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ **(الإسراء:٣).**

أشارت هذه الآية الكريمة إلى توجيهين تربويين مهمين هما : محبة الله تعالى لعباده الصالحين ، واقتداء الأولاد بإبائهم في الخير ، وفيما يلي عرض لهذين التوجيهين :

أولاً : محبة الله تعالى لعباده الصالحين.

إن الله تعالى يحب عباده الصالحين ، وفي مقدمتهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقد مدح الله تعالى نبيه نوح عليه السلام بأنه (عَبْدًا شَكُورًا) ، وعلى هذا فدوام العبودية الحقة لله تعالى وشكر الله موصل لمحبته سبحانه وتعالى ، وقد ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة ﷺ قال : " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ ، فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا ، فَأَحِبَّهُ ، قَالَ : فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ ، فَيَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ ، فُلَانًا ، فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قَالَ : ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ ، فَيَقُولُ : إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا ، فَأَبْغِضْهُ ، قَالَ : فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ ، إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ

فُلَانًا ، فَأَبْغِضُوهُ ، قَالَ : فَيُبْغِضُونَهُ ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ "[1].

ثانياً : اقتداء الأولاد بأبائهم في الخير.

إن من الطبيعي أن ينشأ الأولاد على ما كانوا يرون عليه أبويه ، فإذا كان الأبوان صالحين ، فإن ذلك سيؤثر إيجاباً في سلوك أولادهم ، فلذلك يجب على الآباء الحرص على أن لا يرى أولادهم منهم إلا كل فعل وقول جميل موافق لهدي النبي ﷺ ، وسيجدون ردود فعل ذلك بما يثلج صدورهم وتقر به أعينهم بحول الله تعالى وقوته.

ويحضرني قول أبي العلاء المعري :

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه

وما دانَ الفتى بحجىً ولكن ... يُعلّمُهُ التديُّنَ أقربوهُ

الآية الثانية : **قال الله تعالى :** ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ **(الإسراء:٦٢).**

أشارت هذه الآية الكريمة إلى ثلاثة توجيهات تربوية مهمة هي : الحوار أسلوب تربوي شرعي ، وتحذير الأولاد من عداوة

---

[1] (صحيح مسلم ، حديث رقم : ٦٧٠٥ ، كتاب : البر والصلة ، باب : إذا أحب الله عبداً أمر جبرئيل فأحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض).

الشيطان المتأصلة لهم ، وتحذير الأولاد من عداوة شياطين الإنس ، وفيما يلي عرض لهذه التوجيهات :

أولاً : الحوار أسلوب تربوي شرعي.

أهمية التحاور بين الوالدين والأولاد وخصوصاً في القضايا الساخنة والمهمة التي تحتاج إلى توضيح وإقناع لأنه قد يكون من الأولاد من يميل بطبعه إلى هذا الأسلوب ، ولا يقبل التوجيه التقليدي والتسليم بالقضايا الجارية دون أن يكون هناك حوار ، وأدلة مقنعة له في القضية المطروحة.

وقد يكون من الأولاد من يحيد عن الصراط المستقيم ، ويكون في اتجاه معاكس لفكر الوالدين إما بسبب سوء في تربية الوالدين له ، أو بسبب مؤثرات أخرى في المجتمع كالإعلام والرفقة السيئة ، أو قد يكون ابتلاء من الله تعالى للوالدين لمحبته لهما ولزيادة رفعتهما في الدنيا والآخرة .

ولكن يجب على الوالدين والحالة هذه أن يستعينا أولاً وأخيراً بالله تعالى ، ويبذلا قصارى جهدهما في التحاور معه باللين ، والرفق ، والكلمة الطيبة ، حتى لو أضطر الأمر إلى الاستعانة بالمتخصصين في مجال التوجيه والإرشاد الشرعي والنفسي ، ولديهم من الأساليب المقنعة ما يكون سبباً لإصلاحه.



وهذا لا يعني عدم استخدام الحوار مع الأولاد المنضبطين في أقوالهم وأفعالهم ، لأن الحوار : وسيلة للإقناع ، والتأثير على الآخر ، وفي الوقت ذاته هو وسيلة للنقاش ، وإثراء للمواضيع المراد التحاور حولها.

ثانياً : تحذير الأولاد من عداوة الشيطان المتأصلة لهم.

سبق الحديث عن هذا التوجيه بتوسع*.

ثالثاً : تحذير الأولاد من عداوة شياطين الإنس.

إن شياطين الإنس أشد فتكاً وخطراً من شياطين الجن لأن عداوتهم قد لا تكون ظاهرة في الغالب ، وهم كثر هذه الأيام ومنتشرون في كل مناحي الحياة ولديهم من الأساليب ، والوسائل الخبيثة المتجددة ما يستطيعون به الفتك بالناشئة والشباب ، وإغوائهم وإدخالهم في براثن الرذيلة والفجور ، وربما إغوائهم بما هو أخطر من ذلك بإفساد فكرهم وتوجهاتهم العقدية مما قد يعرضهم إلى تدمير أنفسهم ، وأسرهم ، ومجتمعهم ، وأمتهم.

ولعل سائلاً يسأل هل في الإنس شياطين فأورد له حديث رسول الله ﷺ المروي عن أبي هريرة ﷺ، حيث قال : " دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ ، فَجِئْتُ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ

* (انظر : التوجيه الرابع من الآية الثانية في سورة آل عمران ص ٥١)

تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الجِنِّ وَالإِنْسِ قُلْتُ : أَوَ لِلإِنْسِ شَيَاطِينُ قَالَ: نَعَمْ "[1].

وقال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام : ١١٢).

يقول الإمام البغوي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره : أن هذه الآية فيها تعزية للنبي ﷺ ، يعني كما ابتليناك بهؤلاء القوم ، فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك أعداء ، ثم فسّرهم فقال : (شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ) وإبليس جعل جنده فريقين فبعث فريقاً منهم إلى الإنس وفريقاً منهم إلى الجن ، وكلا الفريقين أعداء للنبي ﷺ ولأوليائه ، وهم الذين يلتقون في كل حين ، فيقول شيطان الإنس لشيطان الجن : أضللت صاحبي بكذا فأضل صاحبك بمثله ، وتقول شياطين الجن لشياطين الإنس كذلك ، فذلك وحي بعضهم إلى بعض.

ويجب على الوالدين أخذ الحيطة والحذر من شياطين الإنس وتحذير الأولاد من خطرهم وشدة عداوتهم ، وبيان أساليبهم ، ووسائلهم الخبيثة .

---

[1] (سنن النسائي ، حديث رقم : ٥٥٠٩ ، كتاب : الاستعاذة ، باب : الاستعاذة من شر شياطين الإنس).

ومن الطُّرف الخفيفة التي تذكر عن شدة خطر شيطان الإنس ، أن إنساناً معروفاً بالمكر والإفساد قابل شيطاناً ، فقال الإنسي للجني أعوذ بالله منك !! فسمعه الشيطان ، فقال له على الفور : أعوذ بالله منك أنت !!!



قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠) ﴾ **(الكهف:٥٠).**

أشارت هذه الآية الكريمة إلى توجيهين تربويين مهمين هما : تكريم الإنسان على غيره من المخلوقات ، وتأصل عداوة الشيطان للإنسان ، وفيما يلي عرض لهذين التوجيهين :

أولاً : تكريم الإنسان على غيره من المخلوقات.

إن الإنسان مخلوق مُكَرَم بل هو أفضل المخلوقات لسجود الملائكة له تعظيماً وإكراماً ، وقد جاء هذا المعنى بوضوح في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ **(الإسراء:٧٠).**

ويقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره " : إن الله تعالى كرَّم بني آدم بجميع وجوه الإكرام ، فكرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام وإنزال الكتب ، وجعل منهم الأولياء والأصفياء وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة.



ويقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ في ظلال هذه الآية بأسلوبه الأدبي الرفيع : وقد كرم الله هذا المخلوق البشري على كثير من خلقه ، كرمه بخلقته على تلك الهيئة ، بهذه الفطرة التي تجمع بين الطين والنفخة ، فتجمع بين الأرض والسماء في ذلك الكيان ! وكرمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته ؛ والتي استأهل بها الخلافة في الأرض ، يغير فيها ويبدل ، وينتج فيها وينشئ ، ويركب فيها ويحلل ، ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة ، وكرمه بتسخير القوى الكونية له في الأرض وإمداده بعون القوى الكونية في الكواكب والأفلاك ، وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذي استقبله به الوجود ، وبذلك الموكب الذي تسجد فيه الملائكة ويعلن فيه الخالق جل شأنه تكريم هذا الإنسان! وكرمه بإعلان هذا التكريم كله في القرآن الكريم كتابه المنزل من الملأ الأعلى الباقي في الأرض.

فيجب على الوالدين فهم هذه الحقيقة فهماً واضحاً لا لبس فيها ، وغرسها في نفوس أولادهم ، وبالتالي التأكيد عليهم ببذل كامل الجهد في عبادة الله تعالى ، وابتغاء مرضاته ، واجتناب سخطه سبحانه وتعالى.



ثانياً : تأصل عداوة الشيطان للإنسان.

لقد تكرر هذا التوجيه مراراً دلالة أهميته ومكانته في التحذير من عداوة الشيطان ، وبيان خطره العظيم ولمزيد من الإيضاح *.

* (انظر : التوجيه التربوي الرابع من الآية الثانية في سورة آل عمران ص ٥١)

قال الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ **(مريم:٥٨).**

أشارت هذه الآية الكريمة إلى توجيهين تربويين مهمين هما : إنعام الله للطائعين من عباده ، والعناية والاهتمام بالقرآن الكريم ، وفيما يلي عرض لهذين التوجيهين :

أولاً : إنعام الله للطائعين من عباده.

إن من نعم الله تعالى على عباده الطائعين له أن يُخَلِّدَ ذكرهم الحسن بين الناس ، فكل من يَذْكُرْهُم في الحاضر والمستقبل يترضى عليهم ، ويدعو لهم بالرحمة ، والعفو ، والمغفرة ، ولا شك أن ذلك لا يتأتى إلا للمخلصين من عباده الذين ساروا على نهجه وتبعوا صراطه المستقيم .

وهذا التوجيه تراه ماثلاً أمامك اليوم في سيرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وفي مقدمتهم نبينا محمد صبى الله عليه وسلم الذي بسيرته وذكره تنشرح الصدور ، بل الصلاة والسلام عليه من أجل وأعظم القربات لله تعالى وبها تغفر الذنوب ، وتفرج الهموم ،



كما جاء في الترمذي وغيره عن " أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ قَالَ أُبَيٌّ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي ، فَقَالَ : مَا شِئْتَ ، قَالَ : قُلْتُ : الرُّبُعَ ، قَالَ : مَا شِئْتَ ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، قُلْتُ : النِّصْفَ ، قَالَ : مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، قَالَ : قُلْتُ : فَالثُّلُثَيْنِ ، قَالَ : مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، قُلْتُ : أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا ، قَالَ : إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ "[1].

وإذا نظرت إلى سيرة عباد الله الصالحين العاملين سواء من السلف ، أو الخلف تجد ذكرهم قد ملأ الأرض ، والسماء أريجاً فواحاً يحمد لهم الناس ما فعلوه من جهود علمية أو عملية خدمة دينهم وأمتهم.

وإنني أُثنّي على قول الشاعر :

اجعل لنفسك ذكراً بعد موتها	فإن الذكرى للإنسان عمر ثانٍ

[1] (سنن الترمذي ، حديث رقم : ٢٤٥٧ ، كتاب : صفة القيامة ، باب : في الترغيب في ذكر الله وذكر الموت آخر الليل وفضل إكثار الصلاة والسلام على النبي ﷺ).

ثانياً : العناية والاهتمام بالقرآن الكريم.

لو نظرت أخي المسلم بعين متفحصة فيمن حولك ، وممن يعيشون بيننا والذين لهم اهتمام من قريب أو بعيد بالقرآن الكريم ما هو حالهم ؟ فلا شك ، ولا ريب ، ستجد أنهم من أكثر الناس اطمئناناً ، وراحة ، وسعادة ، ونوراً عجيباً يتلألأ في وجوههم ، وهذا هو سر القرآن الكريم ، وعظمة القرآن الكريم وهداية القرآن الكريم ، ونور القرآن الكريم.

لذلك ، فإنني أرجو بكل حب وتقدير لكل والدين محبين ومشفقين على أولادهم أن يكون القرآن الكريم ضمن أولويات تربيتهم لأولادهم ، بإلحاقهم ضمن حلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد ، وهي كثيرة ولله الحمد لا يخلو منها مسجد في بلادنا ـ جزى الله تعالى ولاة أمرنا خير الجزاء على اهتمامهم بذلك وتيسيره ـ وأن يكون لهم دور في متابعتهم وتفقد أحوالهم للتأكد من حفظهم وإتقانهم لما حفظوه.

وإني أعلم يقيناً أن في بلادنا المباركة مهبط الوحي إقبالاً كبيراً ولله الحمد من بعض أولياء الأمور بإحضار محفظين ومحفظات لأولادهم في البيوت من أجل تحفيظهم والعناية بقراءتهم للقرآن الكريم ، وهذا يدل دلالة واضحة على حرص هؤلاء الآباء الكرام على تعليم القرآن لأولادهم من جهة ، وعلى علمهم بمدى

الخير العظيم الذي سيجنيه أولادهم من ذلك في الدنيا والآخرة من جهة ثانية.

ومن يعتقد أن القرآن الكريم يعيق الأولاد عن متابعة دراستهم اليومية فهذا وهم خاطئ ، ومن تلبيس إبليس لأن الدراسات والأبحاث العلمية التي أجريت حول هذا الموضوع أثبتت أن غالبية حفظة كتاب الله من المتفوقين ، ولم يعقهم حفظ القرآن الكريم عن العناية بدارستهم بل تفوقوا على أقرانهم ، والواقع المشاهد ، والملموس ، يؤكد ذلك ، وهذا كله بتوفيق الله تعالى ، ثم ببركة القرآن الكريم ، فاحرص أيها الأب على تعليم أولادك كتاب الله تعالى ، واعتن به اعتناء كبيراً ، وسترى توفيق الله لك ولأولادك ولأسرتك بحوله وقوته.



الثاني عشر: سورة الفرقان

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (الفرقان:٧٤).

أشارت هذه الآية الكريمة إلى خمسة توجيهات تربوية مهمة هما : أهمية الدعاء المستمر للذرية ، والصبر واليقين لنيل الدرجات العالية ، وعلـو الهمـة ، وأهمية القدوة الحسنة في التربية ، وحسن اختيار الأصحاب ، وفيما يلي عرض لهذه التوجيهات :

أولاً : أهمية الدعاء المستمر للذرية.

سبق الحديث عن أهمية الدعاء للذرية*.

ثانياً :الصبر واليقين لنيل الدرجات العالية.

إن الدعاء مهم جداً ، ولكن وحده لا يكفي لبلوغ المطالب والدرجات العليا إذ لابد من الصبر واليقين ، وخصوصاً في المطالب العليا كالإمامة في الدين التي ورد ذكرها في الآية الكريمة المشار إليها ، ويقاس عليها كل أمر رفيع المستوى ، لا يتم الوصول إليه إلا بالصبر واليقين ، وقد تأكد هذا المعنى أيضاً في قول الله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (السجدة:٢٤) .

ويقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ وإنما نالوا هذه الدرجة العالية (الإمامة في الدين) بالصبر على التعلم والتعليم ، والدعوة إلى اللّه ، والأذى في سبيله ، وكفوا أنفسهم عن جماحها في المعاصي ، واسترسالها في الشهوات ، ووصلوا في الإيمان بآيات اللّه ، إلى درجة اليقين ، وهو العلم التام ، الموجب للعمل ، وإنما وصلوا إلى درجة اليقين ، لأنهم تعلموا تعلمًا صحيحًا ، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين ، فما زالوا يتعلمون المسائل ، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل ، حتى وصلوا لذلك ، فبالصبر واليقين ، تُنَالُ الإمامة في الدين.

وقريباً من هذا المعنى صاغ أمير الشعراء أحمد شوقي ـ رحمه الله ـ قوله :

وما نيل المطالب بالتمني	ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال	إذا الإقدام كان لهم ركابا

ثالثاً : علو الهمة.

إن هذا التوجيه التربوي العظيم يتأكد في الكثير من توجيهات الشارع الحكيم ، ومن ذلك قول الرسول ﷺ : " الْمُؤْمِنُ



الثاني: وهذا الطلب العظيم الشريف لا يتأتى بالأماني والأحلام ، بل ثمنه هو طاعة الله تعالى وابتغاء مرضاته ومن خلال أعظم وأشرف عبادة ، وهي السجود لله تعالى والإكثار منه.

ولذلك ينبغي أن تكون همة المسلم دائماً عالية جداً ، وأن يعمل بجد ومثابرة للوصول إلى مبتغاة ، وإن ضعفت همته وقصر عن العمل والجد والتحفز لطلب معالي الأمور فحاله يقف نقطة واحدة لا تَغَيُّرْ ولا تَجْدِيدْ إن لم يكن تراجعاً وتخلفاً ، وهنا يحضرني قول الشاعر :

ومن لا يحب صعودَ الجبالِ يعشْ أبد الدهرِ بين الحفرْ

وقول الآخر :

لا تحسبِ المجد تمراً أنت آكله لن تبلغَ المجد حتى تلعقَ الصبرا

وهذه التوجيهات العظيمة يجب على الوالدين غرسها في نفوس أولادهم لتعلو هممهم وينشدون الأعلى من القيم والمبادئ والأخلاق والسلوكيات شريطة أن يكون ذلك منضبطاً بضوابط الشرع الحنيف ، فلا ضرر ولا ضرار.

ولا يفوتني هنا أهمية التذكير بدور مؤسسات التربية الأخرى فهي مكملة لدور الوالدين ، فيجب أن تكون هناك توجيهات وإرشادات ، وعرض نماذج لعلو الهمة من السلف والخلف لشحذ همم الناشئة والشباب لمواجهة الزحف الإعلامي الكبير وما يعرضه من

الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ "[1].

وقول رسول ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ وأَشْرَافَهَا ، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا "[2].

وهنا أورد موقفاً عظيماً لأحد صحابة رسول الله ﷺ يبين علو الهمة عند الصحابة رضوان الله عليهم ، فعن كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ ، فَقَالَ لِي: سَلْ ، فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ : أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ ، قَالَ : فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ[3].

وهذا الحديث الشريف يؤكد على أمرين مهمين هما :

الأول : علو الهمة ، ويتضح من طلب الصحابي الجليل كعب الأسلمي ﷺ مراقفة الرسول ﷺ في الجنة ، فلم يطلب عَرَضاً من الدنيا الفانية : أموال عينية ، أو نقدية ، بل طلب ما هو أفضل وأدوم، وأي طلب أعظم وأشرف من مرافقة الرسول ﷺ وفي الجنة !!

---

[1] (صحيح مسلم ، حديث رقم : ٦٧٧٤ ، كتاب : القدر ، باب : الإيمان بالقدر والإذعان له).

[2] (المعجم الكبير للطبراني ، حديث رقم : ٢٨٢٦).

[3] (صحيح مسلم ، حديث رقم : ١٠٩٤ ، كتاب : الصلاة ، باب : فضل السجود والحث عليه).



الثاني : وهذا الطلب العظيم الشريف لا يتأتى بالأماني والأحلام ، بل ثمنه هو طاعة الله تعالى وابتغاء مرضاته ومن خلال أعظم وأشرف عبادة ، وهي السجود لله تعالى والإكثار منه.

ولذلك ينبغي أن تكون همة المسلم دائماً عالية جداً ، وأن يعمل بجد ومثابرة للوصول إلى مبتغاه ، وإن ضعفت همته وقصر عن العمل والجد والتحفز لطلب معالي الأمور فحاله يقف نقطة واحدة لا تَغَيُّرْ ولا تَجْديدْ إن لم يكن تراجعاً وتخلفاً ، وهنا يحضرني قول الشاعر :

ومن لا يحب صعودَ الجبالِ يعشْ أبد الدهرِ بين الحفرْ

وقول الآخر :

لا تحسبِ المجد تمراً أنت آكله لن تبلغَ المجد حتى تلعقَ الصبرا

وهذه التوجيهات العظيمة يجب على الوالدين غرسها في نفوس أولادهم لتعلو هممهم وينشدون الأعلى من القيم والمبادئ والأخلاق والسلوكيات شريطة أن يكون ذلك منضبطاً بضوابط الشرع الحنيف ، فلا ضرر ولا ضرار.

ولا يفوتني هنا أهمية التذكير بدور مؤسسات التربية الأخرى فهي مكملة لدور الوالدين ، فيجب أن تكون هناك توجيهات وإرشادات ، وعرض نماذج لعلو الهمة من السلف والخلف لشحذ همم الناشئة والشباب لمواجهة الزحف الإعلامي الكبير وما يعرضه من

نماذج سيئة تكرس مفهومات تافهة أثرت على سلوكيات بعض شبابنا وجعلتهم لا يفكرون إلا في أمور سطحية لا تنمي فكراً ولا توجد إبداعاً ولا تهيئ شباباً يُعَوّلَ عليه في بناء أمة لها تاريخها ومجدها وحضارتها.

رابعاً : أهمية القدوة الحسنة في التربية.

من الأساليب المهمة والمفيدة في التربية ، القدوة الحسنة ، ولقد بين القرآن الكريم المثال والأسوة الحسنة للمسلمين ، وهو نبينا محمد ﷺ ، فقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾. **(الأحزاب:٢١)** ، وقد أشارت الآية الكريمة **(الفرقان:٧٤)** إلى أهمية القدوة الحسنة من خلال حرص المسلم على العمل ، والجد ، والاجتهاد ، وأن تكون أقواله وأفعاله متفقة وتوجيهات الشريعة أمراً ونهياً ، ليكون قدوة للمتقين ، فينال بذلك درجة الإمامة وحسن الاقتداء والأجر العظيم والمثوبة من الله لمن اقتدى به ، فقد أخبر الرسول ﷺ : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً



سَيِّئَةً ، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ "[1].

خامساً : حسن اختيار الأصحاب.

إن الشريعة الإسلامية أكدت تأكيداً كبيراً على حسن اختيار الأصحاب سواء كان ذلك في القرآن الكريم ، أو السنة النبوية الشريفة ، ومن توجيهات القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴾ (الكهف:٢٨) ، وقال تعالى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) ﴾(الزخرف).

ومن الأحاديث الشريفة قول الرسول ﷺ : " إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ ، إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكِيرِ ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً "[2]. وقوله ﷺ " لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا ، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا

---

[1] (صحيح مسلم ، حديث رقم : ٦٨٠٠ ، كتاب : العلم ، باب : من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة).

[2] (صحيح مسلم ، حديث رقم : ٦٦٩٢ ، كتاب : البر ، باب : استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء).

تَقِيٌّ "[1] ، وقوله ﷺ : " الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ "[2].

ومن هذه التوجيهات العظيمة ينبغي للمسلم أن يعتني باختيار أقرانه ، وأصدقائه ، بحيث يكونوا من أهل الصلاح والتقوى لما لذلك من أثر عظيم في سلوكيات الإنسان القولية والفعلية ، وأن يحرص المسلم أن يكون ذلك مطلباً ملحاً في دعائه.

وفي الوقت ذاته يجب على الوالدين الحرص على توجيه أولادهم إلى أهمية اختيار الأصحاب ، وأن يكون الاختيار وفق ميزان التقوى والصلاح .

[1] (سنن أبي داود ، حديث رقم ٤٨٣٢ ، كتاب : الأدب ، باب : من يؤمر أن يجالس).

[2] (سنن أبي داود ، حديث رقم ٤٨٣٣ ، كتاب : الأدب ، باب : من يؤمر أن يجالس).



قال الله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ **(العنكبوت:٢٧).**

أشارت هذه الآية الكريمة إلى توجيهين تربويين مهمين هما : ثواب صلاح الوالدين في الدنيا ، ثواب صلاح الوالدين في الآخرة ، وفيما يلي عرض لهذين التوجيهين :

أولاً : ثواب صلاح الوالدين في الدنيا.

إن صلاح الوالدين له بركاته في الدنيا والآخرة على نفس الإنسان بالدرجة الأولى ، في الدنيا يرزقه الله تعالى زوجة صالحة ، ورزقاً واسعاً ، وذرية مباركة ، ومنزلاً واسعاً رحباً ، وثناءً حسناً وذكراً جميلاً.

وهذا يؤكده ما جاء في قصة الخضر مع نبي الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام عند قتل الخضر للغلام ، واعتراض موسى عليه السلام على فعله ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ **(الكهف :٨٠ ـ ٨١).**



ويقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية :

وكان ذلك الغلام قد قُدِّر عليه أنه لو بَلَغَ لأرهق أبويه طغياناً وكفراً، أي : لحملهما على الطغيان والكفر ، إما لأجل محبتهما إياه ، أو للحاجة إليه يحملهما على ذلك ، أي : فقتلته ، لاطلاعي على ذلك ، سلامة لدين أبويه المؤمنين ، وأي فائدة أعظم من هذه الفائدة الجليلة ؟ وهو وإن كان فيه إساءة إليهما ، وقطع لذريتهما، فإن الله تعالى سيعطيهما من الذرية ، ما هو خير منه ، ولهذا قال: ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ أي : ولداً صالحاً ، زكياً ، واصلاً لرحمه ، فإن الغلام الذي قُتل لو بلغ لعقهما أشدّ العقوق بحملهما على الكفر والطغيان.

وإن الإنسان المسلم كلما ترقى في صلاحه وتقواه وورعه ، نال من الله الدرجات العلا في الدنيا ، وما أعده الله تعالى للصالحين من عباده في الآخرة أشد وأعظم ، فحينئذ يجب على المسلم الحرص الشديد على طاعة ربه والتزام أوامره واجتناب نواهيه.

ثانياً : ثواب صلاح الوالدين في الآخرة.

إن ثواب صلاح الإنسان في الآخرة يكون بأن يرفع الله درجته مع أفضل خلق الله تعالى مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن



يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ (النساء : ٦٩).

ولاشك أن هذه الكوكبة النيِّرة من عباد الله تعالى الصالحين يتقدمهم صفوة الخلق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أفضل إنعام وأرقى درجات الجنان التي أعدها الله تعالى لهم.

ولذلك يجب على الإنسان المسلم أن يحرص على صلاح نفسه أولاً بإتباع هدي نبينا محمد ﷺ ، والبعد كل البعد عن أسباب الغواية من تحكيم شهواته والحذر من الشبهات ، التي هي أسباب كل شر والعياذ بالله ، ثم هذا الصلاح للنفس كما هو واضح من الشواهد الشرعية المشار إليها سبيل صلاح الذرية بعون الله وتوفيقه.



ويقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية :

وكان ذلك الغلام قد قُدِّر عليه أنه لو بَلَغَ لأرهق أبويه طغياناً وكفراً، أي : لحملهما على الطغيان والكفر ، إما لأجل محبتهما إياه ، أو للحاجة إليه يحملهما على ذلك ، أي : فقتلته ، لاطلاعي على ذلك ، سلامة لدين أبويه المؤمنين ، وأي فائدة أعظم من هذه الفائدة الجليلة ؟ وهو وإن كان فيه إساءة إليهما ، وقطع لذريتهما ، فإن الله تعالى سيعطيهما من الذرية ، ما هو خير منه ، ولهذا قال: ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ أي : ولداً صالحاً ، زكياً ، واصلاً لرحمه ، فإن الغلام الذي قُتل لو بلغ لعقهما أشدّ العقوق بحملهما على الكفر والطغيان.

وإن الإنسان المسلم كلما ترقى في صلاحه وتقواه وورعه ، نال من الله الدرجات العلا في الدنيا ، وما أعده الله تعالى للصالحين من عباده في الآخرة أشد وأعظم ، فحينئذ يجب على المسلم الحرص الشديد على طاعة ربه والتزام أوامره واجتناب نواهيه.

ثانياً : ثواب صلاح الوالدين في الآخرة.

إن ثواب صلاح الإنسان في الآخرة يكون بأن يرفع الله درجته مع أفضل خلق الله تعالى مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن





قال الله تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ (يس:٤١).

وتتضمن الآية الكريمة توجيهاً تربوياً مهماً ، وهو : حفظ الذرية من الفتن والبلايا في الدنيا.

حفظ الذرية بصلاح آبائهم.

إن بصلاح الآباء ييسر الله تعالى سبل النجاة للذرية في الدنيا ، وهم في معترك حياتهم فيحفظهم الله تعالى من الفتن ، والزلل ، ورفقاء السوء*.

* (انظر التوجيه الأول من الآية الأولى في سورة العنكبوت ص ١٣٠).

الآية الأولى : قال الله تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الصافات:٧٧).

وتتضمن الآية الكريمة توجيهاً تربوياً مهماً ، وهو : ثمرات صلاح الوالدين ، وفيما يلي عرض له :

ثمرات صلاح الوالدين.

إن الله تعالى يُكْرِمْ الوالدين في حالة صلاحهم برعاية أولادهم ، ونسلهم بعد موتهم من الفتن ، والبلايا ، والرزايا ، وإضافة إلى ذلك يكون لهم الثناء الحسن ، والذكر الجميل ، وهذا في غاية الإكرام من الله تعالى ، وقد تأكد هذا المعنى في قول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (الكهف:٨٢) ، ويقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسير هذه الآية أنه فيه دليل على أن الرجل الصالح يُحْفَظْ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقرَّ عينه بهم كما جاء في القرآن ووردت به السنة ،



قال سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ : حُفِظَا بصلاح أبيهما ولم يذكر لهما صلاحاً.

ويقول القرطبي ـ رحمه الله ـ إن في هذه الآية ما يدل على أن الله تعالى يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وإن بعدوا عنه ، وعلى هذا يدل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ (الأعراف:١٩٦) ، ويعلق الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ في ختام هذه الآية ما معناه ، فمن أحسن في طاعة ربه وأحسن إلى خلقه أحسن الله خلفه وذكره ، وأن هذه سنة من سنن الله تعالى في المحسنين أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم .

الآية الثانية: **قال الله تعالى :** ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ **(الصافات:١١٣).**

وتتضمن الآية الكريمة توجيهين تربويين مهمين ، وهما : إنزال البركة على الوالدين والأولاد ، ولكل قاعدة شواذ ، وفيما يلي عرض لهما :

أولاً : إنزال البركة على الوالدين والأولاد.

إن من ثمرات صلاح الوالدين إنزال البركة عليهما وعلى أولادهم في كل حياتهما العلمية والعملية ، والبركة هي : النمو والزيادة ، فإذا حصلت البركة للإنسان في حياته ، فهو النعيم

الدنيوي لأن الله سيضع لهم بسطة في الرزق ، وفي كل شؤون حياتهما ، وأي فضل وخير أفضل من هذا ؟!!

ثانياً : لكل قاعدة شواذ.

إن مع صلاح الوالدين لا يمنع أن يكون من بين الذرية من هو ظالم ، أي وصل إلى درجة الكفر ، أو أسرف على نفسه بشيء من المعاصي والذنوب ، وهذا كله من باب رفعة الوالدين أيضاً ، وزيادة الأجر لهم في الآخرة ، وقد كان نوح عليه السلام ابنه من الهالكين، قال الله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ **(هود:٤٦)** ، وأيضاً كانت زوجته على غير دين الإسلام ، وكذا لوط عليه السلام كانت زوجته على غير دين الإسلام ، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ **(التحريم:١١).**

ولهذا من ابتلي بعقوق ابن أو نشوز زوجة ، وقد كان ممن يعرف نفسه معرفة تامة بأنه مقيم لفرائض الدين مبتعد عن محارم الله تعالى في السر والجهر ، فهذا بدون شك من الابتلاء الذي يكون معه رفعة الدرجات للمبتلى بإذن الله تعالى.

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ : حُفِظا بصلاح أبيهما ولم يذكر لهما صلاحاً.

ويقول القرطبي ـ رحمه الله ـ إن في هذه الآية ما يدل على أن الله تعالى يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وإن بعدوا عنه ، وعلى هذا يدل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ ﴾ (الأعراف:١٩٦) ، ويعلق الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ في ختام هذه الآية ما معناه ، فمن أحسن في طاعة ربه وأحسن إلى خلقه أحسن الله خلفه وذكره ، وأن هذه سنة من سنن الله تعالى في المحسنين أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم .

الآية الثانية: **قال الله تعالى :** ﴿ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣ ﴾ **(الصافات:١١٣).**

وتتضمن الآية الكريمة توجيهين تربويين مهمين ، وهما : إنزال البركة على الوالدين والأولاد ، ولكل قاعدة شواذ ، وفيما يلي عرض لهما :

أولاً : إنزال البركة على الوالدين والأولاد.

إن من ثمرات صلاح الوالدين إنزال البركة عليهما وعلى أولادهم في كل حياتهما العلمية والعملية ، والبركة هي : النمو والزيادة ، فإذا حصلت البركة للإنسان في حياته ، فهو النعيم



قال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ **(غافر:٨).**

وتتضمن الآية الكريمة توجيهين تربويين مهمين ، وهما : التوبة الصادقة نجاة للعبد في الدنيا والآخرة ، والبشارة بزيادة الثواب العظيم للتائبين الصالحين ، وفيما يلي عرض لهما :

أولاً : التوبة الصادقة نجاة للعبد في الدنيا والآخرة.

هذه الآية الكريمة جاءت في سياق التوبة لمن أسرف على نفسه في المعاصي والذنوب ، وإن عظمت ، فإن الله يقبل التوبة من عباده إذا صدقوا في ذلك ونهجوا طريق الصلاح ، والتقوى ، والعمل الصالح ، وختم الله تعالى لهم وهم على ذلك كان جزاؤهم عند الله عظيماً ، وهو إدخالهم جنات دائمة ، التي هي رجاء وأمل وطموح كل مسلم ، بل إن دعاءنا كله يتمحور حولها ، وقد جاء في الحديث الشريف أن النبي ﷺ ، قال لرجل : " كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ : أَتَشَهَّدُ وَأَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ



النَّارِ، أَمَا إِنِّي لَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ ، وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ "[1].

ثانياً : البشارة بزيادة الثواب العظيم للتائبين الصالحين.

فمن أخلص في توبته ونهج طريق الاستقامة ، فإن الله تعالى بفضله ، ورحمته يزيد في إكرامهم بأنه سيُلْحِق بهم من صلح في إيمانه ، وعمله من آبائهم ، وأزواجهم ، وأولادهم.

ومما أورد القرطبي ـ رحمه الله ـ عند تفسير هذه الآية قوله : قال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ : يدخل الرجل الجنة فيقول : يا رب أين أبي وجدي وأمي ؟ وأين ولدي وولد ولدي ؟ وأين زوجاتي ؟ فيقال : إنهم لم يعملوا كعملك فيقول : يا رب كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلهم الجنة ثم تلا : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ ﴾ **(غافر:٧ـ ٨).**

وقد أشارت الآية الكريمة هذه إلى أسلوب تربوي عظيم وهو: (البشارة بمضاعفة الأجر للعاملين) ، وهو أسلوب تحتاجه النفس

[1] (سنن أبي داود ، حديث رقم : ٧٩٢ ، كتاب : الصلاة ، باب : في تخفيف الصلاة).





قال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ **(غافر:٨).**

وتتضمن الآية الكريمة توجيهين تربويين مهمين ، وهما : التوبة الصادقة نجاة للعبد في الدنيا والآخرة ، والبشارة بزيادة الثواب العظيم للتائبين الصالحين ، وفيما يلي عرض لهما :

أولاً : التوبة الصادقة نجاة للعبد في الدنيا والآخرة.

هذه الآية الكريمة جاءت في سياق التوبة لمن أسرف على نفسه في المعاصي والذنوب ، وإن عظمت ، فإن الله يقبل التوبة من عباده إذا صدقوا في ذلك ونهجوا طريق الصلاح ، والتقوى ، والعمل الصالح ، وختم الله تعالى لهم وهم على ذلك كان جزاؤهم عند الله عظيماً ، وهو إدخالهم جنات دائمة ، التي هي رجاء وأمل وطموح كل مسلم ، بل إن دعاءنا كله يتمحور حولها ، وقد جاء في الحديث الشريف أن النبي ﷺ ، قال لرجل : " كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ : أَتَشَهَّدُ وَأَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ



البشرية في مختلف المراحل العمرية ، وفي مختلف المجالات الحياتية،
وما على المعنيين بهذه المجالات سوى الأخذ بهذا الأسلوب القرآني وسيجدون بإذن الله تعالى فوائده العظيمة في مضاعفة الجهد وزيادة الإنتاج من العاملين *.

---

[1] (انظر : التوجيه الثاني من سورة الرعد ص ٨٨).

قال الله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ **(الأحقاف:١٥).**

أشارت هذه الآية الكريمة إلى خمسة توجيهات تربوية مهمة هي : الحرص على بر الوالدين ، والحيطة والحذر لمن بلغ سن الأربعين ، وأهمية صلاح الوالدين ، والتوبة والإنابة إلى الله من المعاصي والذنوب ، والدعاء بصلاح الأولاد ، وفيما يلي عرض لهذه التوجيهات :

أولاً : الحرص على بر الوالدين.

الأخذ بوصية الله تعالى بالحرص الشديد على بر الوالدين بكل وسيلة من وسائل البر بتأمين حوائجهم والتلطف معهم في الحديث نظير ما عانوه من مشقة في تربية الأولاد.

وهذا الموضوع مما اهتمت به الشريعة الإسلامية اهتماماً كبيراً في الكثير من التوجيهات في القرآن الكريم والسنة المطهرة



قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الإسراء : ٢٣) .

يقول الشيخ الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير هذه الآية : أمر جل وعلا في هذه الآية الكريمة بإخلاص العبادة له وحده، وقرن بذلك الأمر بالإحسان إلى الوالدين ، وجعله بر الوالدين مقروناً بعبادته وحده جل وعلا المذكور هنا ذكره في آيات أخر ، وهي : قوله تعالى في : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (النساء : ٣٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾(البقرة : ٨٣) ، وقوله تعالى : ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (لقمان:١٤).

ويضيف الشيخ الشنقيطي القول : بأن الله تعالى بين في موضع آخر أن برهما لازم ولو كانا مشركين داعيين إلى شركهما ، كقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (لقمان : ١٥) ، وقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ



لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ **(العنكبوت : ٨)** ، ثم يختم ذلك بقوله : وذكر الله تعالى في هذه الآيات بر الوالدين مقروناً بتوحيده جل وعلا في عبادته ، يدل على شدة تأكد وجوب بر الوالدين.

ومن وصايا الرسول بالوالدين " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قَالَ : أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ أَبُوكَ "[1].

وهذا الموضوع المهم للغاية لا يكاد يخلو منه كتاب من كتب الحديث ، أو كتب الأدب والتربية قديماً وحديثاً ، بل إنهم يضعونه في أول الموضوعات لمكانته وأهميته ، ولذلك فإنه يجب أن يُعْنى بهذا الموضوع من قبل المؤسسات التربوية المختلفة ، وغرسه في نفوس الناشئة والشباب وبيان خطورة عقوق الوالدين ، وأنها من كبائر الذنوب التي حذر منها الرسول ﷺ : " فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ ، فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ ، وَشَهَادَةُ

---

[1] (صحيح مسلم ، حديث رقم : ٦٥٠٠ ، كتاب : البر والصلة والأدب ، باب : بر الوالدين وأيهما أحق).



الزُّورِ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ لَا يَسْكُتُ"[1].

ثانياً : الحيطة والحذر لمن بلغ سن الأربعين.

تمضي بالإنسان السنون وهو لا يشعر بها في كثير من الأحيان ، وأن التسويف بالاستقامة والعمل الصالح لا يجدي ألبتة ، لأنه لا يعلم متى يحين أجله ، فالأجل يأتي بغتة ، وقد يكون في العمر متسع للتوبة النصوح وقد لا يكون ، أما إذا أكرمه الله وبقي حتى سن الأربعين ، وهي أشد المراحل العمرية أهمية لبلوغ الإنسان بها النضج العقلي الذي به يستطيع التمييز بين ما يصلح له وما لا يصلح ، فتكون مصيبة عظمى من بلغ هذه السن ولم يرعو.

فإذا بلغ الإنسان الأربعين من عمره طلب من الله أن يوفقه لشكر نعم الله تعالى عليه وعلى والديه ، ونعم الإله على العباد كثيرة لا تعد ولا تحصى ، وإنما يراد من الآية موضوع البحث الحث على شكر النعمة ، والإقرار للمنعم ، والقيام بحقه سبحانه فيها ، كما قال تعالى عن نبي الله سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ

[1] (صحيح البخاري ، حديث رقم : ٥٩٧٦ ، كتاب : الأدب ، باب : عقوق الوالدين من الكبائر).



﴿ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأحقاف : ١٥).

ثالثاً : أهمية صلاح الوالدين:

إن صلاح الوالدين بالعلم والعمل من أعظم الأسباب لصلاح أولادهم*.

رابعاً : التوبة والإنابة إلى الله من المعاصي والذنوب.

على الوالدين أن يجددوا التوبة والإنابة إلى الله تعالى وخصوصاً بعد أن يبلغ الآباء سن الأربعين وما بعدها*.

خامساً : الدعاء بصلاح الأولاد.

لابد أن يحرص الوالدن عند الدعاء أن يكون فيه نصيب لوالديهم ولأولادهم ، لأن صلاحهم يعود نفعه وخيره على والديهم*.

ونضيف إلى ما سبق قصة أوردها الإمام القرطبي ـ رحمه الله في تفسيره تبين أهمية الدعاء بعامة والدعاء بهذه الآية بخاصة ، فقال : قال مالك بن مغول[1] : اشتكى أبو معشر ابنه إلى طلحة بن

---

* (انظر : التوجيه الأول من الآية الأولى في سورة العنكبوت ص ١٣٠ ، والتوجيه الأول من الآية الأولى في سورة الصافات ص ١٣٤).

* (انظر : التوجيه الثالث من الآية الثانية في سورة البقرة ص ٢٤ ، والتوجيه الأول من سورة غافر ص ١٣٨).

* (انظر : التوجيه الأول من الآية الثانية في سورة البقرة ص ٢١).

[1] (محدث ، ثقة ، ثبت ، انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي).



مُصَرِّف[1] فقال : استعن عليه بهذه الآية وتلا : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.

[1] (تابعي ، يسمى سيد القرء ، انظر : طبقات القراء لابن الجزري).



قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (الطور:٢١).

أشارت هذه الآية الكريمة إلى ثلاثة توجيهات تربوية مهمة هي : أهمية الإيمان والعمل والصالح ، وبشارة أهل الجنة بزيادة نعيمهم ، وعدم تواكل الأولاد على الآباء ، وفيما يلي عرض لهذه التوجيهات :

أولاً : أهمية الإيمان والعمل والصالح.

إن فضل الله تعالى واسع وليس له حدود ، ولكن من سنن الله تعالى أن جعل رضوانه وجنته لمن آمن أولاً وعمل صالحاً ثانياً ، وعلى هذا الأساس يكون تفاضل الناس يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ (الأعراف:١٥٦) .

ومما يشير إليه الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره عند هذه الآية : إن رحمة الله تعالى في الآخرة قريبة للمتقين صغائر الذنوب وكبائرها والذين يؤدون الزكاة الواجبة ، والذين يؤمنون



بآيات الله ، ومن تمام الإيمان بآيات الله معرفة معناها ، والعمل بمقتضاها ، ومن ذلك إتباع النبي ﷺ ظاهراً وباطناً ، في أصول الدين وفروعه.

ولذلك يجب على المسلم أن يهتم بالعمل الصالح ، وقد قرن الله تعالى ذلك في أكثر من خمسين آية ، منها : قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (البقرة:٢٥) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾ (البقرة:٢٧٧) ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ (النساء:١٢٢) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (هود:٢٣).



ثانياً : بشارة أهل الجنة بزيادة نعيمهم.

سبق الحديث عن هذا التوجيه•

ثالثاً : عدم تواكل الأولاد على الآباء:

إن تواكل الأولاد على الآباء له مخاطر جسيمة على الآباء من جهة ، وعلى الأولاد أنفسهم من جهة ثانية ، فأما مخاطره على الآباء فيكون بعدم قيام الأولاد ببرهم في وقت حاجتهم لهم ، وأما خطره على الأولاد فقد يكون سبباً في عجزهم وقصورهم عن أداء أي عمل نافع لهم ، وقد يكون سبباً لانحرافهم وإسرافهم على أنفسهم بالمعاصي والذنوب مما قد يؤدي إلى هلاكهم في الدنيا والآخرة.

ولذلك ينبغي على الآباء العناية التامة بغرس الإيمان في نفوس أولادهم فهو الحصن الحصين للمسلم من الزيغ والانحراف ، وذلك بتربيتهم التربية الإسلامية السليمة القائمة على مخافة الله تعالى ، وعلى أداء فرائضه ، واجتناب نواهيه.

• (انظر : التوجيه الثاني من الآية الأولى في سورة الرعد ص ٨٨).

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الحديد:٢٦).

تتضمن الآية الكريمة ثلاثة توجيهات تربوية مهمة هي : تفاضل الصالحين بعضهم على بعض ، وصلاح الآباء بركة لأولادهم، واختلاف الناس في تقبلهم للهداية ، وفيما يلي عرض لهذه التوجيهات :

أولاً : تفاضل الصالحين بعضهم على بعض.

كما أن الله تعالى فاضل بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم خيرة خلقه ، قال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ (البقرة:٢٥٣) ، فقد فاضل سبحانه وتعالى بين عباده المؤمنين ممن أورثهم الكتاب فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا



ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ **(فاطر:٣٢).**

كما فضل الله تعالى بين الناس في أرزاقهم ومعيشتهم ، فقال تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ **(الزخرف : ٣٢)** ، ويقول الإمام البغوي رحمه الله تعالى في تفسيره : ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ بالغنى والمال ، ﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ ليستخدم بعضهم بعضًا ، فيسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل ، فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش ، هذا بماله ، وهذا بأعماله ، فيلتئم قوام أمر العالم.

وقد ورد في الحديث " عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالُوا : ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ ، فَقَالَ وَمَا ذَاكَ ؟ قَالُوا : يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا



تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ ؟ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ ، قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ : فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالُوا : سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا ، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ "[1].

ولهذا يجب على الإنسان المسلم بذل كل طاقته ووسعه في طاعة ربه سبحانه وتعالى ، ويعلم أن لله سبحانه وتعالى حِكَم في خلقه لا يعلمه إلا هو جل وعلا ، " فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، عَنْ جِبْرِيلَ ، عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا ، فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ ، وَإِنِّي لَأَغْضَبُ لِأَوْلِيَائِي ، كَمَا يَغْضَبُ اللَّيْثُ الْحَرِدُ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي الْمُؤْمِنُ بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا زَالَ عَبْدِي الْمُؤْمِنُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ ، كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَيَدًا ، وَمُؤَيِّدًا ، إِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ ، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي فِي قَبْضِ رُوحِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ يَسْأَلُنِي الْبَابَ مِنَ الْعِبَادَةِ ، فَأَكُفُّهُ عَنْهُ أَلا يَدْخُلَهُ عُجْبٌ ، فَيُفْسِدَهُ ذَلِكَ ، وَإِنَّ مِنَ

---

[1] (صحيح مسلم ، حديث رقم : ١٣٤٧ ، كتاب : المساجد ، باب : استحباب الذكر بعد الصلاة).

عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إلا الْغِنَى ، وَلَوْ أَفْقَرْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لا يُصلِحُ إِيمَانَهُ إلا الْفَقْرُ ، وَلَوْ أَغْنَيْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لا يُصلِحُ إِيمَانَهُ إلا الصِّحَةُ ، وَلَوْ أَسْقَمْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لا يُصلِحُ إِيمَانَهُ إلا السَّقَمُ ، وَلَوْ أَصْحَحْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ ، إِنِّي أُدَبِّرُ أَمَرَ عِبَادِي بِعِلْمِي بِقُلُوبِهِمْ ، إِنِّي عَلِيمٌ خَبِيرٌ "[1] .

ثانياً : صلاح الآباء بركة لأولادهم.

إن لصلاح الآباء دوراً مهماً وعظيماً جداً في صلاح أولادهم ليس هذا فحسب بل إن الله يضع البركة فيهم مادية ومعنوية ، فييسر الله لهم سبل الرزق وسعته ، ويبارك في صحتهم وعلمهم ووقتهم ، وكل أمر لهم فيه سبيل تجد من الله لهم العون والتسديد والتوفيق.*

ثالثاً : اختلاف الناس في تقبلهم للهداية.

إن اختلاف الناس في تقبلهم للهداية من عدمها سنة من سنن الله تعالى ، وقد تأكد ذلك في العديد من آيات الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ

---

[1] (البغوي ، شرح السنة ، باب أسماء الله سبحانه وتعالى ، ص ٢٦٦).

* (انظر : التوجيه الأول من الآية الأولى في سورة العنكبوت ص ١٢٠ ، والتوجيه الأول من الآية الأولى في سورة الصافات ص ١٣٤).



﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (هود: ١١٨- ١١٩).

وأن لله سبحانه وتعالى الحكمة البالغة في ذلك فيعلم من يستحق الهداية ومن يستحق الغواية ، قال تعالى : (﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ (الأنعام:١١٧) ، وقال تعالى : وقد يكون أكثرهم على غير هدى ، كما قال تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (هود:١٧) ، وقال تعال : ﴿ المر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۗ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ (الرعد:١) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (غافر:٥٩) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (يوسف:١٠٣) .

ومع هذا كله يجب على الوالدين بذل كل الجهد في تربية أولادهم ونصحهم ، وإرشادهم حتى وإن كان منهم على غير هدى ،



ولديه بعض التجاوزات ، أو لديه انحراف كامل ، فلا بد من المتابعة في التوجيه ، والنصح والدعاء ، واتخاذ كافة السبل الممكنة لإصلاحه ، فلا يقول : إن هذا الولد غير نافع ، أو غير صالح ، وقد بذلت معه كذا ، وكذا ، ولم يهتد ، نقول له لا تيأس ، واستمر في التوجيه ، والمتابعة ، والنصح ، والإرشاد ، مقروناً بالدعاء الخالص في الأوقات المباركة ، لعل الله يكتب له الهداية ، والصلاح ، إنه على كل شيء قدير ، ولن يخيب من رجاه ووقف ببابه سبحانه وتعالى.

الحمد لله في الأولى ، والحمد لله في الآخرة ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، الهادي البشير ، والسراج المنير ، سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، أما بعد :

فبتوفيق من الله تعالى وَمَنِّهِ وكَرَمِه أمضيت وقتاً ممتعاً في كتابة هذه الدراسة متنقلاً بين أحضان وأنوار آيات القرآن الكريم، وبين كتب التفسير لعلمائنا الأجلاء الذين قضوا جل أوقاتهم ، وأفنوا أعمارهم في كتابتها محاولاً بجهد المقل الخروج بدراسة تأصيلية في تربية ناشئة وشباب المسلمين مستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تسليم في موضوع أسميته : الذرية فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمْ وَمَضَامِينُهَا التَّرْبَوِيَة [دِرَاسَةٌ تَأْصِيلِيةٌ لِتَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ فِي الْإِسْلَامْ]

وقد خلصت الدراسة بتوفيق الله تعالى إلى عدة نقاط مهمة ، هي :

أولاً : بلغ عدد السور التي وردت فيها لفظة الذرية بمختلف اشتقاقاتها تسع عشرة سورة هي : [١. **البقرة** ، ٢. **آل عمران** ،



٣.النساء ، ٤. الأنعام ، ٥. الأعراف ، ٦. يونس ، ٧. الرعد ، ٨.إبراهيم ، ٩. الإسراء ، ١٠. الكهف ، ١١. مريم ، ١٢. الفرقان ، ١٣. العنكبوت ، ١٤. يس ، ١٥. الصافات ، ١٦. غافر ، ١٧- الأحقاف ، ١٨. الطور ، ١٩. الحديد].

ثانياً : بلغ عدد الآيات التي وردت فيها لفظة الذرية ثلاثين آية موزعة على السور المشار إليها على النحو الآتي : [ثلاث في البقرة وهي رقم : (١٣٤،١٢٨،٢٦٦) ، ثلاث في آل عمران وهي رقم : (٣٤،٣٦،٣٨) ، واحدة في النساء وهي رقم : (٩) ، ثلاث في الأنعام وهي رقم : (١٣٣،٨٤،٨٧) ، مرتان في الأعراف وهي رقم : (١٧٢،١٧٣) ، واحدة في يونس وهي رقم : (٨٣) ، مرتان في الرعد وهي رقم : (٢٣،٣٨) ، مرتان في إبراهيم وهي رقم : (٣٧،٤٠) ، مرتان في الإسراء وهي رقم : (٣،٦٢) ، واحدة في الكهف وهي رقم: (٥٠) ، واحدة في مريم وهي رقم : (٥٨) ، واحدة في الفرقان وهي رقم : (٧٤) ، واحدة في العنكبوت وهي رقم : (٢٧) ، واحدة في يس وهي رقم : (٤١) ، مرتان في الصافات وهي رقم : (٧٧،١١٣) ، واحدة في غافر وهي رقم : (٨) ، واحدة في الأحقاف وهي رقم : (١٥) ، واحدة في الطور وهي رقم : (٢١) ، واحدة في الحديد وهي رقم : (٢٦)].



ثالثاً : تكررت لفظة الذرية اثنين وثلاثين مرة بحسب عدد الآيات المشار إليها في الفقرة (ثانياً) **ما عدا (سورتي مريم والطور)** ، فقد وردت فيهما مرتان.

رابعاً : بلغ عدد التوجيهات التربوية المستنبطة من الآيات المشار إليها واحداً وثمانين توجيهاً تربوياً موزعاً على النحو الآتي : (**عشرة في البقرة ، سبعة في آل عمران ، اثنان في النساء ، ستة في الأنعام ، أربعة في الأعراف ، أربعة في يونس ، سبعة في الرعد ، ثمانية في إبراهيم ، خمسة في الإسراء ، اثنان في الكهف ، اثنان في مريم ، خمسة في الفرقان ، اثنان في العنكبوت ، واحد في يس ، ثلاثة في الصافات ، اثنان في غافر ، خمسة في الأحقاف ، ثلاثة في الطور ، ثلاثة في الحديد**).

خامساً : تضمنت التوجيهات التربوية في هذه الدراسة كافة جوانب التربية الإسلامية ابتداء من ربط الإنسان المسلم بعقيدته ، وطاعة ربه، ومروراً بالتكاليف الشرعية التي أُنيطت به مع إيضاح التفاصيل اللازمة لتربيته تربية تتوافق مع حقيقة وجوده في الكون، تلكم الحقيقة التي وجد الإنسان من أجلها ، وهي : عبادة الله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ **(الذاريات :٥٦).**

سادساً: أظهرت هذه الدراسة العديد من التوجيهات التربوية المهمة في تربية الإنسان بطابع إسلامي مستمد من القرآن الكريم والسنة

المطهرة تجمع بين العناية بالجانب الروحي والجانب العقلي والجسدي، وهذا يؤكد سبق التربية الإسلامية على غيرها من التربيات المعاصرة وخصوصاً التربية الغربية.

سابعاً : تؤكد هذه الدراسة على أنه لا يزال القرآن الكريم والسنة المطهرة معينين زاخرين بكنوز من التوجيهات التربوية ، ويحتاجان فقط من المتخصصين في التربية الإسلامية إلى مزيد من البحث والدراسة والتفكر والنظر لاستخراج هذه الكنوز العظيمة.

ثامناً : تلفت الدراسة الانتباه إلى أهمية توجيهين تربويين تكررا مرات عديدة ، هما : (أهمية الدعاء للذرية تكرر ست مرات ، وأهمية صلاح الوالدين تكرر خمس مرات) ، وهذا يؤكد تأكيداً جازماً أن سر صلاح الذرية يكمن في هذين التوجيهين ، فعلى الآباء العناية بهما.

تاسعاً : كل ما توصلت إليه هذه الدراسة من توجيهات تربوية سبق ذكرها في ثنايا الدراسة فهي على قدر من الأهمية كبير ، ولكن في هذه الخاتمة سوف أشير إلى أبرز هذه التوجيهات التي تكررت الإشارة إليها ، وهي :

١. أهمية الدعاء للذرية.
٢. أهمية صلاح الوالدين وآثاره الإيجابية على الأولاد.
٣. العناية بطلب العلم الشرعي.



٤. التوبة والإنابة إلى الله تعالى.

٥. العناية التامة بتربية الأولاد.

٦. أهمية دور الأم في التربية.

٧. تحذير الأولاد من عداوة الشيطان لهم.

٨. الاهتمام بمراعاة سنن الله في الأرض.

٩. الاقتداء بعباد الله الصالحين.

١٠. العناية بالأساليب التربوية.

١١. العناية بالمحافظة على الصلاة.

وفي الختام أتوجه لله سبحانه وتعالى بالشكر على ما منّ به عليّ من إتمام هذه الدراسة ، وأدعوه جلت قدرته بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وابتغاء مرضاته ، وأن يكتب له القبول ، وأن يحقق الفائدة المرجوة منه في إصلاح ناشئتنا وشبابنا.

ولا يفوتني أن أشكر كل من أسهم معي في إخراج هذه الدراسة ، سواء بقراءتها وبيان بعض الملحوظات عليها ، أو بتزويدي ببعض المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها ، داعياً الله لهم بالتوفيق

ولإخواني الأعزاء ، وزوجي وأولادي الذين هيئوا لي الجو المناسب ، وتنازلوا وتحملوا انشغالي عنهم بكتابة هذه الدارسة.

للجميع عميق شكري وتقديري،ودعائي الخالص لهم ولكافة المسلمين بأن يوفقنا الله تعالى للعلم النافع والعمل الصالح والإخلاص في القول والعمل ، وأن يجعلنا هداة مهتدين صالحين مصلحين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

اللهم ما كان في هذه الدراسة من صواب فهو منك وحدك ، ولك الحمد في الأولى والآخرة وما كان فيها من نقص وتقصير فهو من نفسي وضعفي البشري ، واستغفر الله العظيم من ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، استغفرك وأتوب إليك.



قائمة المصادر والمراجع:

أولاً : القرآن الكريم وعلومه.

١- القرآن الكريم.

٢- ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، **تفسير القرآن العظيم** ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.

٣ - أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.

٤- أبو محمد ، الحسين بن مسعود البغوي ، **معالم التنزيل** ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.

٥- الجزائري ، أبو بكر جابر ، **أيسر التفاسير** ، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٦- السعدي ، عبدالرحمن ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، مؤسسة دار الرسالة ، بيروت – لبنان ، ١٤١٨ هـ.

٧- الشنقيطي ، محمد الأمين ، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، دار الكتب العلمية ، بيروت. لبنان ، ١٤٢١ هـ.

٨- عبد الباقي ، محمد فؤاد ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، المكتبة الإسلامية ، استانبول – تركيا ، ١٤٠٢هـ.



٩- القرطبي ، محمد أحمد ، **تفسير القرطبي** ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.

١٠- قطب ، سيد ، **في ظلال القرآن** ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.

ثانياً : السنة النبوية الشريفة وعلومها.

١١ - ابن حنبل ، أحمد ، **مسند أحمد** ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.

١٢ - ابن ماجة ، محمد بن يزيد ، **سنن ابن ماجة** ، موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٢٠هـ.

١٣- أبو داود ، سليمان ابن الأشعث ، **سنن أبي داود** ، موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٢٠هـ.

١٤- أبو محمد ، الحسين بن مسعود البغوي ، **شرح السنة** ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.

١٥- البخاري ، محمد بن إسماعيل ، **صحيح البخاري** ، موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٢٠هـ.



١٦- الترمذي ، محمد بن عيسى ، **سنن الترمذي** ، موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٢٠هـ.

١٧- الحاكم ، محمد بن عبد الله ، **المستدرك على الصحيحين** ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.

١٨- الدارقطني ، **سنن الدارقطني** ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.

١٩- الطبراني ، **المعجم الكبير** ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.

٢٠- مسلم بن الحجاج ، **صحيح مسلم** ، موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٢٠هـ.

٢١- النسائي ، أحمد بن شعيب ، **سنن النسائي** ، موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٢٠هـ.

٢٢- النووي ، يحيى بن شرف ، **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ** ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.

ثالثاً : الكتب التراثية والثقافية.



٢٣- ابن تيميه ، أحمد ، **مجموع فتاوى** ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي ، ج ٢٧ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ.

٢٤ - ابن الجزري ، محمد بن محمد ، غاية النهاية في طبقات القراء ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.

٢٥- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، **لسان العرب** ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.

٢٦ - أبو الفيض ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.

٢٧- الذهبي ، محمد بن أحمد ، سير أعلام النبلاء ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.

٢٨- الرازي ، محمد بن أبي بكر ، **مختار الصحاح** ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.

٢٩- الغزالي ، محمد أبي حامد ، **إحياء علوم الدين** ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.

٣٠- الفيروز آبادي ، **القاموس المحيط** ، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.





هـذا الكـتاب

- بحث جاد في موضوعه ، ثري في معناه ومبناه ، عميم النفع بإذن الله .
- يتميز عن غيره من الأبحاث التربوية باعتماده على الاستنباط الواعي من آيات الذكر الحكيم ، إضافة إلى ما تيسر من علوم الأولين والآخرين في باب الذرية ومضامينها .
- أضاف هذا البحث زاداً علمياً ومعرفياً إلى المهتمين بالتربية الإسلامية ، وإلى كل أسرة مسلمة يهمها صلاح أبنائها وبناتها.
- الله نسأل أن ينفع به وأن يجزي مؤلفه خير الجزاء.

علي بن مقبول العمري

مـدير عـام

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد

وتوعية الجاليات بشرق جدة



سيرة ذاتية للمؤلف

أولاً : بيانات شخصية:

الاسم : عبدالرحمن بن سعيد بن حسين الحازمي.

مكان وتاريخ الميلاد : ١٣٨٠ هـ مكة المكرمة.

ثانياً : الشهادات العلمية:

١ . الشهادة الإبتدائية : مدرسة عمار بن ياسر بمكة المكرمة عام١٣٩٢ هـ .

٢ . الشهادة المتوسطة : مدرسة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٣٩٥ هـ.

٣ . الشهادة الثانوية : المدرسة التجارية بمكة المكرمة عام ١٣٩٨ هـ .

٤ . درجة البكالوريوس . جامعة الملك عبدالعزيز بجدة ـ كلية الاقتصاد والإدارة تخصص إدارة عامة) انتساب (عام١٤٠٢ هـ .

٥ . درجة الماجستير ـ جامعة أم القرى بمكة المكرمة ـ كلية التربية ـ قسم الإدارة التربوية والتخطيط عام١٤١هـ بتقدير عام (امتياز) ، وعنوان الرسالة [دور الإرشاد الأكاديمي في تحقيق احتياجات الطلاب في الثانويات المطورة بمكة المكرمة].

٦ . درجة الدكتوراه. جامعة أم القرى بمكة المكرمة. كلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة. تخصص الأصول الإسلامية للتربية ـ عام ١٤٢١هـ بتقدير عام) امتياز (مع التوصية بطبع الرسالة وتداولها بين الجامعات ومراكز البحث العلمي. عنوان الرسالة : [التوجيه الإسلامي لأصول التربية].

ثالثاً : الخبرات العملية:

مارس العديد من الوظائف الإدارية في مطابع الحكومة ووزارة الحج والأوقاف سابقاً ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد وحالياً المدير العام لفرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد بمنطقة مكة المكرمة اعتباراً من ١/٨/ ١٤٢٤هـ.

رابعاً : الإنتاج العلمي:

١ . (التوجيه الإسلامي لأصول التربية) مطبوع.

٢ . (الازدواجية في السلوك من منظور التربية الإسلامية) مطبوع.

٣ . (الهداية في القرآن الكريم ومضامينها التربوية) . مطبوع .

٤ . (توجيهات تربوية من القرآن الكريم) (بحث مقدم لمؤتمر التربية الإسلامية وبناء المسلم المعاصر من الفترة ٢٢ ـ ٢٤ محرم١٤٢٧ هـ).

٥ . سلسلة مقالات بعنوان (التربية في القرآن الكريم). في جريدة الندوة.

٦ . مشاركات صحفية وإعلامية متنوعة.



المملكة العربية السعودية - جدة - كيلو (١٣) طريق مكة القديم - هاتف : ٦٢٠٠٠٠٥ (١١١) - فاكس : ٦٢٤٠٣٩٨

ص.ب ١٠٢١٣٧- الرمز البريدي : ٢١٣٢١- هاتف القسم النسائي : ٦٢٤٤٤٤٢

حساب المكتب : ٣٧٨٦٠٨٠١٠٠٧٤٠٠٧